

مكتبة الأسرة الروائع



89

جمال ماكتب
شاعر الجنود

على
الحدود



الهيئة المصرية
للإسالة للكتابة

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر / محمد العليم القباني

الإسكندرية

أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العربي)

الجهات المشتركة:	أجمل ما كتب شاعر الجنود على محمود طه
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	لوحة الغلاف للفنان جمال قطب
وزارة الثقافة	تصميم الغلاف الانجاز الطباعي والفني محمود الهندي
وزارة الإعلام	
وزارة التعليم	
وزارة الحكم المحلي	
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	
التنفيذ: هيئة الكتاب	
	المشرف العام د. سمير سرحان

**أجمل ما كتب شاعر
الجنود
على محمود طه**

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عناني

على سبيل التقديم . . .

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية اطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يآلف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وكّد عنده - كما يقول شوقى ضيف (الأديب العربى المعاصر فى مصر) «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وأثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المباني فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق – وتحديدأ ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثلاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضوّر الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لا يبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وأثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرياض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى أفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التي تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر في حديث الأريعاء فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذي يلبسه الشاعر في شعره ويخفي وراءه وجهه الحقيقي ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذي يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق في هذا المجال النقدي الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب في المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً في القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيا له التنقل في القاهرة التي كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية في سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التي قربته من السياسة تتنكر له فيستعويض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأ في التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا في آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التي لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التي تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم في صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته في الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التي شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من أعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلى حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الإعجاب ، وتكاد تفتنني وتستهويني ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التي لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التي تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتي تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتي لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشيء حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجد في الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (حديث الأربعاء - ص ١٤٦) - وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر علي محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقي مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر – انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً في ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقي ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم الماثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة – كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الألب** (ص ٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها ، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة – التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداً من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (قضايا جديدة فى الأدب الحديث) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفى غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

أخى ، جاوزَ الظَّالمونَ المَدَى
فحقُّ الجهادُ ، وحقُّ الفِدا
أتركهم يَغصِبونَ العُروبَةَ
مجدُ الأبوَّةِ والسُّوددا ؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ
يُجيبونَ صوتاً لنا أو صدى
فجرٌ حسامك من غمدهِ
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغمدا
* * *
أخى ، أيُّها العربيُّ الأبيُّ
أرى اليومَ موعدنا لا الغدا
أخى ، أقبلِ الشرقُ فى أمةٍ
تردُّ الضُّلالَ وتُحيى الهدى
أخى ، إنَّ فى القدسِ اختاً لنا
أعدُّ لها الذابحونَ المَدَى
صبرنا على غدرهمِ قادرينَ
وكنا لهمُ قَدراً مُرصدا
طلَّعنا عليهمُ طلوعَ المنونِ
فطاروا هباءً ، وصاروا سُدى

أخي ، قُمْ إِلَى قِبَلَةِ الْمَشْرِقَيْنِ
لنحْمِيَ الْكَنِيسَةَ وَالْمَسْجِدَ
أخي ، قُمْ إِلَيْهَا نَشَقُّ الْغَمَارَ
دَمًا قَانِيًا وَلِظَى مَرْعَدَا
أخي ، ظَمِنْتُ لِلْقِتَالِ السِّيُوفُ
فَأُورِدُ شَبَاهَا الدَّمَ الْمُصْعَدَا
أخي ، إِنْ جَرَى فِي ثَرَاهَا دَمِي
وَشَبُّ الضَّرَامِ بِهَا مَوْقِدَا
فَفَتِّشْ عَلَى مَهْجَةٍ حُرَّةٍ
أَبْتُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا الْعِدَا
وَحُذِّ رَايَةَ الْحَقِّ مِنْ قَبِضَةٍ
جَلَاها الْوَغَى ، وَنَمَاهَا النَّدَى
وَقَبْلُ شَهِيداً عَلَى أَرْضِهَا
دَعَا بِاسْمِهَا اللَّهَ وَاسْتَشْهَدَا
فَلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكَ الشَّبَابُ
وَجَلُّ الْفِدَائِي وَالْمُفْتَدَى
فَلَسْطِينُ تَحْمِيكَ مِنَّا الصَّدُورُ
فَإِمَّا الْحَيَاةَ وَإِمَّا الرُّدَى
❧ ❧ ❧

٢ - مصر

هَوَىٰ لَكَ فِيهِ كُلُّ رَدَىٰ يُحِبُّ
 فَدَيْتُكَ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
 فَدَيْتُكَ مَصْرُ ، كُلُّ فَتَىٰ مَشُوقٌ
 إِلَيْكَ ، وَكُلُّ شَيْخٍ فِيكَ صَبٌّ
 وَيَحْلُمُ بِالْفِدَىٰ طِفْلٌ فَطِيمٌ
 وَكُلُّ رَضِيعَةٍ فِي الْمَهْدِ تَحِبُّ
 أَرَاكَ وَ أَيْنَمَا وَلَّيْتُ وَجْهِي
 أَرَىٰ مَهْجَأَ لَوْجِهِكَ تَشْرُئِبُ
 وَأَرْوَاحاً عَلَيْكَ مَحْشُومَاتُ
 لَهَا فَوْقَ الضُّفَافِ خُطَىٰ وَوُئِبُ
 عَلَيْهَا مِنْ دَمِ الْغَادِينَ غَارُ
 لَهُ بِيَدَيْكَ تَضْفِيرٌ وَعَضْبُ
 حَمَّتْكَ صَدُورُهَا يَوْمَ التَّنَادَى
 وَوَقَّتْكَ الْيَالَىٰ وَهِيَ حَرْبُ
 إِذَا رَامَتْكَ عَادِيَةٌ وَشَقَّتْ
 فِضَاءَكَ غِيلَةٌ وَرَمَاكَ خَطْبُ
 دَعَتْ بِالنُّهْرِ فَهُوَ لَظَىٰ وَوَقَّدَتْ
 وَبِالنُّسَمَاتِ فَهِيَ حَصَىٰ وَحَصْبُ

وبالشجرِ المنورِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصُونِهِ ظُفْرٌ وِخْلُبٌ
حقائقٌ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقَ ومضئها رجمٌ وشهبٌ
لها في مهجةِ الجبارِ فتكٌ
وفي عينيهِ إيماضٌ وسكبٌ
صنائعُ كالغنائياتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويلقى السمعَ غربٌ



٣ - أغنية الجندول

في كرنفال فينيسيا

أين من عيني هاتيك المجالى

يا عروس البحر ، يا حلم الخيال

أين عشاقك سمار الليالى

أين من واديك ، يا مهد الجمال

موكب الغيد وعيد الكرنفال

وسرى الجندول فى عرض القنال

بين كأس يتشهى الكرم خمرة

وحبيب يتمنى الكأس ثغرة

إلتقت عيني به أول مرة

فعرفت الحب من أول نظره

أين من عيني هاتيك المجالى

يا عروس البحر ، يا حلم الخيال

مر بي مستضحكا فى قرب ساقى

يمزج الراح بأقداح رفاق

قد قصدناه على غير اتفاق

فنظرنا ، وابتسمنا للتلاقى

وَهُوَ يَسْتَهْدِي عَلَى الْمَفْرِقِ زَهْرَهُ
وَيُسْوِي بِيَدِ الْفِتْنَةِ شَعْرَهُ
حِينَ مَسَّتْ شَفَتِي أَوَّلُ قَطْرَةٍ
خَلَّتْهُ ذَوْبًا فِي كَأْسِي عِطْرَهُ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

قُلْتُ ، وَالنَّشْوَةُ تَسْرِي فِي لِسَانِي :

هَاجَتِ الذِّكْرَى ، فَأَيْنَ الْهَرَمَانِ ؟

أَيْنَ وَادِي السُّحْرِ صَدَاحَ الْمَغَانِي ؟

أَيْنَ مَاءُ النِّيلِ ؟ أَيْنَ الضُّفَّتَانِ ؟

أَهْ ، لَوْ كُنْتُ مَعِيَ نَخْتَالُ عَبْرَةٍ
بِشِرَاعِ تَسْبِغِ الْأَنْجَمِ إِثْرَهُ
حَيْثُ يَرَوِي الْمَوْجُ فِي أَرْخَمِ نَبْرَةٍ
حُلْمَ لَيْلٍ مِنْ لِيَالِي كَلِيوَيْتَرَةٍ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

أَيُّهَا الْمَلَا حُ ، قِفْ بَيْنَ الْجَسُورِ

فِتْنَةُ الدُّنْيَا ، وَأَحْلَامُ الدَّهْورِ

صَفَّقَ الْمَوْجُ لَوْلَدَانِ وَحُودِ

يُغْرِقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نَوْرِ

مَا تَرَى الْأَعْيَدَ وَضَاءَ الْأَسِرَّةِ ؟

دَقُّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرُهُ

لِمُحِبٍّ لَفٌ بِالسَّاعِدِ خَصْرُهُ ؟

لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلَعُ فَجْرُهُ !

أَيْنَ مَنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

رَقَصَ الْجُنْدُولُ كَالنَّجْمِ الْوَضِيِّ

فَاشْدُدْ ، يَا مَلَا حُ ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ

وَتَرَنُّمٍ بِالنَّشِيدِ الْوَثْنِيِّ

هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلْمُ الْعَبَقَرِيِّ

شَاعَتِ الْفَرَحَةُ فِيهَا وَالْمَسْرَةُ

وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سِرَّهُ

يَمْنَةً مِلْ بِي ، عَلَى الْمَاءِ ، وَيَسْرُهُ

إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سِحْرَهُ

أَيْنَ ، يَا قَيْنِيسِيَا ، تِلْكَ الْمَجَالِي ؟

أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَارَ اللَّيَالِي ؟

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي أَطْيَافُ الْجَمَالِ ؟
مَوْكِبُ الْغَيْدِ وَعِيدُ الْكَرْنَقَالِ ؟
يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخَيَالِ !!



٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أى حلم من ليالىك الحسان
طاف بالموج فغنى ، وتغنى الشاطئان
وهفا كل فؤاد ، وشدا كل لسان :
هذه فاتنة الدنيا وحسنا الزمان

بُعِثْتُ فى زورقٍ مُسْتَلْهِمٍ من كل فن
مَرِحَ المجدافِ يَخْتالُ بحوراء تُغْنِي

يا حَبِيبِى ، هذه ليلة حُبِّى

أه لو شاركتنى أفراح قلبى !

نبأة كالكأسِ دارتُ بين عُشاقٍ سُكَّارِى
سَبَقَتْ كُلَّ جَنَاحٍ فى سماءِ النيلِ طارِا
تَحْمِلُ الفتنة ، والفرحة ، والوجدَ المثارِا
حلوهُ صافيةً اللُّحْنُ كأحلامِ العذارى

حلم عذراء دعاها حبُّها ذاتَ مساءٍ

فَتَغَنَّتْ بشراعٍ من خيالِ الشعراءِ

يا حَبِيبِى ، هذه ليلة حُبِّى

أه لو شاركتنى أفراح قلبى !

وَتَجَلَّى الزُّورِقُ الصَّاعِدُ نَشْوَانَ يَمِيدُ
يَتَهَدَّاهُ عَلَى الْمَوْجِ نَوَاتِي عَبِيدُ
الْمَجَادِيفُ بِأَيْدِيهِمْ ، هَتَافٌ ، وَنَشِيدُ
وَمُصَلُّونَ لَهُمْ فِي النِّهْرِ مِحْرَابٌ عَتِيدُ
سَحَرَتَهُمْ رَوْعَةُ اللَّيْلِ فَهُمْ خَلَقُوا جَدِيدُ
كُلُّهُمْ رَبٌّ يُغْنِي وَإِلَهُ يَسْتَعْمِيدُ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي

أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !

إِصْدَحِي ، أَيَّتُهَا الْأَرْوَاحُ ، بِاللَّحْنِ الْبَدِيعِ

إِمْرَحِي ، يَا رَاقِصَاتِ الضُّوءِ ، بِالْمَوْجِ الْخَلِيعِ

قَبِّلِي ، تَحْتَ شِرَاعِي ، حُلْمَ الْفَنِّ الرَّفِيعِ

زُورِقًا بَيْنَ ضَفَافِ النِّيلِ فِي لَيْلِ الرَّبِيعِ

رَنُحْتُهُ مَوْجَةً تَلْعَبُ فِي ضَوْءِ النُّجُومِ

وَتَنَادِي بِشِعَاعِ رَاقِصٍ فَوْقَ الْغَيُومِ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي

أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !

لَيْلُنَا خَمْرٌ وَأَشْوَاقٌ تُغْنِي حَوْلَنَا

وَشِرَاعٌ سَابِحٌ فِي النُّورِ يَرْعَى ظِلُّنَا

كَانَ فِي اللَّيْلِ سُكَارَى ، وَأَفَاقُوا قَبْلَنَا
 لَيْتَهُمْ قَدْ عَرَفُوا الْحَبَّ فَبَاتُوا مَتْلَنَا
 كُلُّمَا غَرَّدَ كَأْسٌ شَرَبُوا الْخَمْرَةَ لَحْنًا
 يَا حَبِيبِي ، كُلُّ مَا فِي اللَّيْلِ رَوْحٌ يَتَغَنَّى
 هَاتِ كَأْسِي ، إِنَّهَا لَيْلَةٌ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 يَا ضِفَافَ النَّيْلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضْرَ الرِّوَابِي
 هَلْ رَأَيْتُنِي عَلَى النَّهْرِ فَتِي غَضُّ الْإِهَابِ
 أَسْمَرَ الْجَبْهَةِ كَالْخَمْرَةِ فِي النَّوْرِ الْمَذَابِ
 سَابِحًا فِي زَوْجَرٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ ؟
 إِنْ يَكُنْ مَرٌّ وَحِيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ
 فَصِفِيهِ ، وَأَعِيدِي وَصْفَهُ ، فَهُوَ حَبِيبِي !
 يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةٌ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 أَنْتِ يَا مَنْ عُدَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامِ اللَّيَالِي
 يَا ابْنَةَ النَّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْيَابُ الْخِيَالِ
 وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبِيحُ رِيَّاتِ الْجَمَالِ
 مَوْجَةُ الشَّادِي عَشِيقُ النَّوْرِ ، مَعْبُودُ الظُّلَالِ

لَمْ يَزَلْ يَرَوِي ، وَتُصَفَى لِلرَّوَايَاتِ الدَّهْورُ
وَالضَّفَافُ الْخَضِرُ سَكْرِي ، وَالسُّنَى كَأْسُ تَدْوَرُ
حُلُمٌ لَمْ تَرَوْهُ لَيْلَةً حُبُّ
فَاذْكُرِيهِ ، وَاسْمَعِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !



٥ - العام الهجرى الجديد

غَنُّ بِالْهَجْرَةِ : عاماً بعدَ عامٍ
وَادِّعُ لِلْحَقِّ ، وَبَشِّرْ بِالسَّلَامِ
وَتَرَسَّلْ ، يَا قَصِيدَى ، نَغْمًا
وَتَنَقَّلْ بَيْنَ مَوْجٍ وَ غَمَامِ
صَوْتُكَ الْحَقُّ ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَ ذَامِ
كُنْ بِشَّيْرَ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
مُهَاجِرِ كَلَمَى ، وَأَكْبَادِ دَوَامِ
هَجَرَتُ أَوْطَانَهَا وَاغْتَرِبْتُ
فِي مَثَالِيٍّ مِنَ الْمَبْدِإِ سَامِ
أَنْفَتُ عَيْشَ الرَّقِيقِ الْمَجْتَبَى
وَأَبَيْتُ ذُلَّ الضَّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ : هَذِي مَحْنَةٌ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشَبُوبِ الضَّرَامِ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ ، أَوْ حِمَامِ
وَصِرَاعُ الْخَيْرِ ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى
بِصْرَاعٍ ، وتحدَّى بحسام
هجرةً كانت إلى الله ، وفي
خطوئها : مولدُ أحداثِ جسام
أخطأ الشيطانُ مسراها ، فيا
ضلَّةَ الشيطانِ في تلك المَواصي !
أَبَ بالخَيِّبةِ من غايتِهِ
وهو فوق الأرضِ ملعونُ المقام
صفحاتُ من صراعِ خالدٍ
ضمَّنتُ كلَّ فخارٍ ووسام
لم تُنحَ يوماً لجبارٍ طَفَى
أو لباغٍ فاتكِ السيفِ عُرَام
بل لداعٍ أعزَلٍ في قُومِهِ
مستباحِ الدِّمِ مهدورِ الذُّمام
زلزلَ العالمَ من أقطارِهِ
بِقُوَى الرُّوحِ على القُومِ الطُّغام
وبَنَى أولَ دُنْيَا حُرَّةٍ
بَرِئتَ من كلِّ ظلمٍ وأثام

تَسَعُّ النَّاسَ عَلَى أَلْوَانِهِمْ
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ أَرَى وَسَامَى

* * *

حَاطِمَ الْأَصْنَامِ : هَلْ مِنْكَ يَدٌ
تَذَرُ الظَّلْمَ صَدِيعاً مِنْ حُطَامٍ ؟
لَمْ تُطَقِّهَا حَجَراً أَوْ خَشَباً
وَيُطَاقُ الْيَوْمَ أَصْنَامُ الْأَنَامِ !!
وَعَجِيبٌ صُنْعُهُمْ فِي زَمَنِ

أَبْصَرَ الْأَعْمَى بِهِ وَالْمَتَعَامَى !
وَتُرْجَى عَوْدَةُ الْمَجْدِ الَّذِي
أَعْجَزَ الْبَانِي ، وَأَعْيَا الْمَتَسَامَى
مِنْ بِيوتِ هَاشِمِيَّاتِ الْبَنَى
وَعُرُوشِ أُمَوِيَّاتِ الدَّعَامِ
وَنَتَاجِ مِنْ نُهَى جَبَّارَةٍ

وَتَرَاثٍ مِنْ حَضَارَاتٍ ضَخَامِ
قُلْ لَهَا ، يَا عَامٌ : لَا هُنْتُ ، وَلَا
كُنْتُ إِلَّا مَهْدَ أَحْرَارٍ كِرَامِ
ذَاكَ مَجْدٌ لَمْ يَنْلَهُ أَهْلُهُ

بِالْتَمَنَّى ، وَالتَّغْنَى ، وَالْكَلَامِ

بل بالآلم؁ وصبر وضنى
ودموع؁ ودم حر سجام
قل لها : إن الرضى دائرة
واللىالى بين كر وصدام
فاستعدى لعد إن غدا
نهزة السباق فى هذا الزحام !
واجمعى أمرك لليوم الذى
يحمل البشرى لعشاق السلام !



٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليت شعري أهكذا نحنُ نمضي
في عُبابٍ إلى شواطئ غمضٍ
ونخوضُ الزمانَ في جنحِ ليلٍ
أبدى ، يُضنى النفوسَ ويُنضى
وضفافُ الحياةِ ترمقُها العيـ
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بعضٍ
دون أن نملكَ الرجوعَ إلى ما
فات منها ، ولا الرسوُ بأرضٍ ! ؟

* * *

حدّثي القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى
لا أرى « أولفير » فوق ضفافكُ
أوشكُ العامُ أن يمرُّ ، وهذا
موعِدُ اللقاءِ في مُصطافكُ
صخرةُ العهدِ ! ويك ، هأنذا عدُّ
تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافكِ ؟

عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينٍ
سفتُ دمعها الليالي السوافكُ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـ
تِ هديرأ يهزُّ قلبُ السكونِ
وضفافٍ أمواجُها يتداعـ

ين على هذه الصخورِ الجونِ
والنسيمُ العليلُ يدفعُ وهنًا
زبدَ الموجِ للرُّبى والحرزِ
ملقياً رغوها على قدميها
لينَّ المسُّ مستحبُّ الأنينِ

* * *

أثرى تذكريـ رينَ ليلةٍ كنا
منك فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وسرى زورقُ بنا يتهدى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونٍ ، فليسَ تسمعُ فوقَ المـ
وجِ إلا أغانيَ المجدافِ

تتلاقى على الرُّبى والحوافى

بأناشيدٍ موجكِ العزَّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حينِ غرةٍ رنَّ صوتٌ

لم يُعوِّدْ سَمَاعَهُ إنسى

هبطَ الشاطئَ الطروبَ فما يُسم

معُ فيهٍ للهاتفاتِ دوى

وإذا الليلُ ساهمَ سَكَنَ النو

ءُ إليهِ وأنصتَ اللجى

يتلقى عن نبأَةِ الصوتِ نجوى

كلماتٍ ألقى بهنُ نجى

* * *

يا زماناً يمرُّ كالطيرِ مهلاً

طائرُ أنتَ ؟ ويك ، قفْ طيرانك !

أهنا الساعاتِ تجرى وتعدو

نا عطاشاً ، فقف بنا جريانك !

ويك دَعنا نمرحُ بأجملِ أيا

مِ ونلقى ، من بُعدِ خوفٍ ، أمانك

وَإِذَا نَحْنُ لَذَّةَ الْعَيْشِ ذُقْنَا

هَـا وَمِـرَّتْ بِنَا قَدْرُ دَوْرَانِكَ !

* * *

بَيِّدْ أَنْ الشَّقَاءَ قَدْ غَمَرَ الْأَرْضَ

ضَ وَفَاضَ الْوَجُودُ بِالتَّاعْسِينَا

كُلُّهُمْ ضَارِعٌ إِلَيْكَ يَرْجِيكَ

فَاسْرِعْ ! أَسْرِعْ ! إِلَى الضَّارِعِينَا

وافتَرَسْ مُشَقِّياتِ أَيَّامِهِمْ وَامْـ

ضَ رَحَى تَطْحَنُ الشَّقَاءَ طَحُونَا

رَحْمَةً ، فَاذْكُرِ النُّفُوسَ الْحَزَانِيَّ

وَانْسَ ، يَا دَهْرُ ، أَنْفُسَ النَّاعِمِينَا !

* * *

عَبَثًا أَنْشَدُ الْبَقَاءَ لَعَهْدٍ

يَقُلْتُ الْيَوْمَ مِنْ يَدَيَّ وَيَفِرُّ

وَسَوِيَعَاتِ غِبْطَةٍ مَا أَرَاهَا

وَوَشِيكَأَ مَا تَنْقُضِي وَتَمُرُّ

وَأَنَادِي يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ قَرِيَّ

إِنْ بَعْدَ السُّرَى يَطِيبُ الْمَقَرُّ

أسفأ للصُّبَا وغرَّ ليالٍ
ليس يُبقى على صباهنَّ فجرٌ

* * *

فلنحبَّ الغداةَ ولنحىَ حبًّا
ولنكنَّ في الحياةِ بعضاً لبعضٍ
ولنسارعُ فنقتفى إثرَ ساعا
تِ فقد تؤذنُ النوى بالتقضى
إننا في الحياةِ في عُرْضِ بحرٍ
ليس نُلقى المرساةَ فيه بأرضٍ
ما به مرفأً يبينُ ولكنَّ
نحن نمضى في لجئه ، وهو يمضى !

* * *

أكذا أنت ، أيها الزمنُ الحَا
قد ، تفتالُ نشوةَ اللحظاتِ ؟
حيثُ يُزجى لنا السعادةُ أموا
جأ من الحبِّ زاخرُ اللجاتِ ؟
أكذا أنت ، ذاهبٌ بليالي الصـ
فوعنا سريعةَ الخطواتِ ؟

أكذا تنقضى ملاوةُ نَعْمَا

ها كما ينقضى شقاءُ الحياة ؟

* * *

كيفَ حدثُ : أغالها منك صرفُ

في أبيدِ الزَّمانِ حيثُ طواها ؟

ويك ، قل لي ، أليسَ نملكُ يوماً

أن نراها ؟ أما تبينُ خطاها ؟

أتراها ولتُ جميعاً ، ولما

تبقى حتى آثارها ، أتراها ؟

أوذاك الدهرُ الذي افتنُّ في صو

غ صباها هو الذي قد محاها ؟

* * *

أيُّ هذا الزَّمانُ ، والعدمُ العا

تى ، غريقين في سكونٍ وصمتٍ

أى عميقَ اللجاتِ : ماذا بآيا

م صباها ؟ ماذا بهنُ صنعتِ ؟

حدثيني ، أما تعيدنينَ ما من

سكراتِ الغرامِ منا اختطفتِ ؟

أَوْ مَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَاغِيْـ

كَ ؟ أَمَا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتِ ؟

* * *

أَنْتِ ، يَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ ، مَاذَا

يَكْتُمُ الْمَوْجُ فَيْكِ وَالشَّطَّانُ

أَيُّهَا الْغَابَةُ الظَّلِيلَةُ رُدِّيْ

أَنْتِ ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وَهُوَ يَسْطِيعُ أَنْ يُجِدَّكَ حَسَنًا !!

إِحْفَظِيْ لَا أَصَابَكَ النِّسْيَانُ !!

قَلْ حَفْطًا أَنْ تَذْكُرِيْ لَيْلَةً مَرَّةً

تُ وَأَنْتِ الطَّبِيعَةُ الْحَسَنَةُ

* * *

لَيْكُنْ مِنْكَ ، يَا بَحِيرَةُ ، مَا لَجُ

بِكَ الصَّمْتُ أَوْ جَنُونُ اصْطِخَابِكَ

فِي مِغْفَانِيْكَ حَالِيَّاتٍ تَرَاءِيْ

ضَاحِكَاتٍ عَلَى سَفُوحِ هِضَابِكَ

فِي مَرْوَجِ الصَّنُوبِرِ الْحَوْثِ تَهْفُو

سَابِغَاتُ الْأَلْيَافِ حَوْلَ شَعَابِكَ

فى نتوء الصخور ، مشرفة الأعنا
ق ، بيضاً ، تُطلُّ فوق عُبَابِكُ

* * *

وليكن فى العُباب يهدرُ أمـ
ـواجاً على شاطئك مثل الرعودِ
فى انتحابِ الرياح تُعول فى الودىـ
ـانِ إـعـوالَ قلبى المفقودِ
فى صدى الجدولِ الموقع أنا
تِ حشاهُ بالجنديلِ الجلمودِ
فى شذاكِ السرى ينشقُّ منه الـ
ـقلبُ رياً فردوسه المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبُّ سار
يهِ يجوبُ الشيطانِ نحوكِ جوباً
فى جبينِ النجم اللجينيُّ يلقى
فضةُ الضوءِ فى مياهِكِ ذوباً
وليكن فى شتيتِ ما تسمعُ الأذـ
نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هاتِفٌ مِّنَ الصَّوْتِ يَتْلُو

« قَدْ أَحْبَبًا وَأَخْلَصًا مَا أَحْبَبَا »



٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رَفْتُ عَلَيْهِ مَوْرَقَاتُ الْغُصُونِ
وَحَقَّقْتُ الْعَشْبُ بِنَوَارِهِ
ذَلِكَ قَبْرِ لَمْ يُشَدُّهُ الْمَنُونُ
بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِأَثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ
وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عِبَاءَ الشَّجُونِ
وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِأَسْفَقَةٍ
تَجَسَّئُ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ
تَقْضِي مَدَى الْعُمُرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَتَنُّ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ
كَأَنَّمَا تَخْفِقُ عَنْ قَلْبِهِ

وَتُرْسَلُ الْأَغْنِيَّةُ الشَّائِقَةُ

قَمْرِيَّةٌ ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيُقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابُ

يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ

كَأَنَّمَا يَنْشُدُ تَحْتَ التُّرَابِ

لَوَلَوْ تَزْرَى بِلَلَّائِهِ

إِسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابُ

غَيْرَ شُعَاعٍ ، فِي الدُّجَى ، تَائِهٍ

يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشُّعَابِ

يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظُّلَامُ

وَتَبْزَغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسَقِهِ

حَيْرَى ، تَحُومُ اللَّيْلَ كَالْمُسْتَهَامِ

أَسْهَرُهُ الثَّائِرُ مِنْ شَوْقِهِ

تَبْحَثُ عَنْ نَجْمٍ بِتِلْكَ الرَّجَامِ

هَوَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ عَنْ أَفْقِهِ

أخ لها في الأرض ود المقام
وأثر الغرب على شرقه

* * *

ويطلق الطير نشيد الصباح
بنغمة تصدّر عن حزنه
يمد فوق القبر منه الجناح
ويرسل المنقار في ركنه
أفضى إلى الراقد فيه وباح
بأنه الملهم من فنه
فمن قوافيه استمد النواح
ومن أغانيه صدى لحنه

* * *

وحين تمضي نسمات الخريف
وتملأ الأرض رياح الشتاء
ويقبل الليل الدجى المخيف
فلا ترى نجماً ينير السماء
هناك لا غصن عليه وريف
يهفو ، ولا طير يثير الغناء

يظللُّ الأرضَ الظلامُ الكثيفُ
كأنما تُمسي بوادي الفناء

* * *

يا شاعراً ما جمعتني به
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنه الشـرقُ وفي حـبِّه
ينأى بنا الشـوقُ وتدنو الديارُ
سكبتَ من شـجوكَ في قلبه
ومن مآقـيكَ الدموعُ الغـزارُ
فـوداً أنْ لو نـمتَ في تربـه
ليشفيَ النفسَ بهذا الجوارُ

* * *

قد راعني موتُكَ ، يا شاعري
في مـيعةِ العـمرِ وفـجرِ الشـبابِ
وهزني ما فاضَ من خـاطرِ
كانَ ينابيعَ البـيـانِ العـذابِ
ونفثاتُ القـلـمِ السـاحـرِ
في جـوبِكَ الأفقَ وطى السحابِ

ووقفهُ بالكوكبِ الحائرِ
رأى بساطَ الريحِ يدنو فهابُ

* * *

لكنهُ شعركَ لما يزلُ
يُرددُ الكونُ أناشيدهُ
شِعْرُ كَصُوبِ الغيثِ أنى نزلُ
أرقصَ فى الروضِ أماليدهُ
وعلمَ الطيرَ الهوى والغزلُ
فأسمعَ الزهرَ أغاريدهُ
وغنّتِ الريحُ به فى الجبلُ
فحركتُ منه جلاميدهُ

* * *

يا قبرُ لم تبصرِ عيني ولا
رأتكَ إلا فى ثنايا الخيالُ
مسلاتَ بالروعِ فؤاداً خلا
إلا من الحبِّ ونورِ الجمالُ
أوحيتَ لى سرُّ الردى فأنجلي
عن عيني الشكُّ وليلُ الضلالُ

عِذَا سَقَطُوا الْقَلْبَ أَيْدَى الْبَلَى
وَيَقْنَصُ النِّجْمَ عِقَابُ اللَّيَالِ

* * *

هَكَذَا تَمْضَى لَيَالِي الْحَيَاةِ
وَالْقَبْرِ مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ
دُنْيَا مِنَ الْوَهْمِ وَدَهْرٌ تَرَاهُ
يَغْرُرُ الْقَلْبَ بِأَمْسَالِهِ
يَسْخَرُ مِنْ مَبْتَسِمَاتِ الشِّفَاهِ
وَجَامِدِ الدَّمْعِ وَسَيَّالِهِ
دَهْرٌ عَلَى الْعَالَمِ دَارَتْ رِحَالُهُ
فَلَمْ تَدَعْ رَسْمًا لِأَطْلَالِهِ

❦ ❦ ❦

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتُ خَيَالِي فاستجابَتْ خَوَاطِرِي
وحَدَّثَنِي قَلْبِي بِأَنْكَ زَائِرِي
عَشِيَّةُ أَغْرَى بِي الدُّجَى كُلُّ صَانِعٍ
وَكُلُّ صَدَى فِي هَذِهِ اللَّيْلِ عَابِرٍ
أَقُولُ مَنْ السَّارَى ؟ وَأَنْتَ مُقَارِبِي
وَاهْتَفُ بِالنُّجُومِ ، وَأَنْتَ مُجَاوِرِي
أَحْسُكَ مِلءَ الْكَوْنِ رُوحاً وَخَاطِراً
كَأَنَّكَ مَبْعُوثُ اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَمِثْلَ لِي سَمْعِي خُطَاكَ ، فَخَلَّتْهَا
صَدَى نَبَأٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ صَادِرِ
سِوَى خَطَرَاتٍ مِنْ بَنَانٍ رَفِيقَةٍ
طَرَقَتْ بِهَا بَابِي فَهَبْتُ سِرَائِرِي
عَرَفْتُكَ ، لَمْ أَسْمَعْ لَصَوْتِكَ نَبَأَةً
وَشِمْتُكَ ، لَمْ يَلْمَحْ مُحْيَاكَ نَاطِرِي
أَرَى طَيْفَ مَعشُوقٍ ، أَرَى رُوحَ عَاشِقٍ
أَرَى حُلْمَ أَجْيَالٍ ، أَرَى وَجْهَ شَاعِرٍ

* * *

إِلَيْكَ ضِيفَ النِّيلِ ، يَا رُوحَ حَافِظٍ ،
فَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُسَامِرِ
وَسَاقَطَ جَنَاحُهَا مِنْ قَوَافِيكَ سَلْسَلًا
رَخِيماً كَأَرْهَامِ النَّدَى الْمُتَنَاقِرِ
سَرَتْ فِيهِ أَرْوَاحُ النَّدَامَى ، وَصَفَّقَتْ
كُؤُوسٌ عَلَى ذِكْرِ الْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ
نَجَى اللَّيَالَى الْقَاهِرِيَّاتِ : طُفَّ بِهَا
خَيَالَةُ ذِكْرِي ، أَوْ عُلَّالَةُ ذَاكِرِ
وَجَزَّ عَالَمَ الْأَشْبَاحِ ، فَالْلَيْلُ شَاخِصٌ
إِلَيْكَ ، وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ الزُّوَاهِرِ
وَطَالَعِ سَمَاءٌ فِي مَعَارِجِ قُدْسِهَا
مَرَحَتْ بِوُجْدَانٍ مِنَ الشُّعْرِ طَاهِرِ
وَسَلَسَلَتْ مِنْ أُنْدَانِهَا وَشُعَاعِهَا
جَنَى كَرَمَةٍ لَمْ تَحْوِهَا كَفٌّ عَاصِرِ
تَدَفَّقَ بِالْخَمْرِ الْإِلَهَى كَأْسُهَا
فَفَرَّدَ بِالْإِلْهَامِ كُلُّ مُعَاقِرِ
عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةً مِنْ صَفَائِهَا
وَلَا لَأُفَجِّرَ عَنْ سَنَا الْخُلْدِ سَافِرِ

فصافحُ بعينيكِ الديَّارَ فطالما
مددتَ على آفاقها عينَ طائرٍ
وخذُ في ضفافِ النهرِ مسراكَ ، واتَّبِعْ
خطى الوحيِّ في تلكَ الحقولِ النواضرِ
حدائقُ فرعونٍ بدقائقِ نهرها
وجنتُهُ ذاتُ الجنى والأزاهِرِ
وفى شُعبِ الوادى ، وفوقَ رماله
عصىُّ نبيٍّ ، أو تهاويلُ ساحرِ
صوامعُ رُهبانٍ ، محاريبُ سجدٍ ،
هياكلُ أريابٍ ، عروشُ قياصرِ
سرى الشعرُ فى باحاتها روحَ ناسكٍ
وترديدُ أنفاسٍ ، ونَجوى ضمائرِ
وهمسُ شِفاهٍ تَشمَلُ الروحُ عندهُ
وتَسبِّحُ فى تيهٍ من السَّحرِ غامرِ
هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدُوها
وحلمُ صباها فى الرُّبيعِ المُباكرِ
وصوتُ بأسرارِ الطبيعةِ ناطقُ
ولكنَّهُ روحٌ ، وإبداعُ خاطِرِ

ووثبة ذهنٍ ، يقنصُ البرقَ طائراً
 ويغزو بروجَ النُجمِ غيرَ مُحاذِرٍ
 فيا دُرَّةً لم يحوِها تاجُ قيصرٍ
 ولا انتظمتُ إلا مفارقَ شاعرٍ
 تآله فيكِ القلبُ واستكبرَ الحِجَى
 على دَعَا ، من تحتها روحُ ثائرٍ
 إذا اعترضَ الجبارُ ضوئكِ شامخاً
 تلقَّيته كبراً ببسمةٍ ساخرٍ
 لمستِ حديدَ القيدِ فأنحلَّ نظمهُ
 وأطلقتِ أسرى من برائنِ أسيرٍ
 وما زدتِ في الأحداثِ إلا صلابَةً
 إذا النارُ نالتُ من كرامِ الجواهرِ
 يزينُ بكِ الراعى سقيفةً كوخهِ
 فتخشعُ حيرى نيراتُ المقاصيرِ
 أضاعوكِ في أرضِ الكنوزِ ، وما دروا
 بأنكِ كنزٌ ضمُّ أغلى الذُّخائرِ
 وهنتِ على مهدِ الفنونِ ، وطالما
 سموتِ بسلطانٍ من الفنِّ قاهرٍ

إذا افتقد التاريخُ آثارَ أمةٍ
أشربتِ بما خلّدتِه من مآثرِ
* * *
سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزلْ
خيالك يَغشى كلَّ نادٍ وسامرٍ
وشعركَ في الأفواهِ إنشادُ أمةٍ
تغنّتِ بماضٍ واستعزتْ بحاضرٍ
وذكراك نجوى البائسينَ ، إذا هفتْ
قلوبٌ ، وحاترتْ أدمعُ في المحاجرِ
يدلُّ عليك القلبُ أناتُ بائسٍ
ونظرةُ مخزونٍ ، وإطراقُ سادرٍ
وما أنتَ إلا رائدٌ من جماعةٍ
توالوا تباعاً بالنفوسِ الحرائرِ
صحتْ بادياتُ الشرقِ تحتَ غبارهمْ
على شدوٍ أقلامٍ ولمع بواترٍ
وفي القممِ الشُّمَاءِ ، مِنْ صرَخَاتِهِمْ ،
صدى الرعدِ في عصفِ الرياحِ الثوائرِ
يضيئونَ في أفقِ الحياةِ كأنهمْ
على شطّها النَّائِي منارةٌ حائرٍ

فيا شاعراً غنىً فرقاً لشجوه
جفاءً اللآلى ، واعتسافاً المقادير
لك الدهر ، لا ، بل عالم الحس والنهي
خميلة شادٍ أخذٍ بالمشاعر
فتم في ظلال الشرق ، واهناً بمضجع
ندىً بأنفاس النبين عاطر
ووسد ثراه الطهر جنبك وانتظم
لداتك فيه ، فهو مهد العباقر



٩ - شوقي

في رثاء الشاعر أحمد شوقي

هَجَرَ الْأَرْضَ حِينَ مَلَّ مَقَامُهُ
وَطَوَى الْعَمَرَ حَيْرَةً وَسَامَهُ
هَيَّكَلَ مِنْ حَقِيقَةٍ وَخِيَالٍ
مَلَكَ الْحُبُّ وَالْجَمَالُ زَمَامَهُ
أَلْهَمَ الشَّعْرَ أَصْغَرِيهِ فَرْقًا
فِي فَمِ الدَّهْرِ كَوْنًا وَمُدَامَهُ
سَلَسَبِيلٌ مِنْ حِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَجَّرَ اللَّهُ مِنْهُمَا إِلْهَامَهُ
تَأَخَذَ الْقَلْبَ هَزَّةً مِنْ تَسَا
قِيهِ ، وَيَنْسَى بِسَحَرِهِ أَلَامَهُ
غَمَرَ الْأَرْضَ رَحْمَةً وَسَلَامًا
وَجَلَا الْكَوْنَ فِتْنَةً وَوَسَامَهُ
مَالَنَا مِسْمَعُ الْوُجُودِ نَشِيدًا
عَلَّمَ الطَّيْرَ لَحْنَهُ وَانْسَجَامَهُ
مَالَهُ وَالزَّمَانَ مَصْنَعٌ إِلَيْهِ
رَدُّ أَوْتَارِهِ وَحِطُّمُ جَامَتِهِ ؟

رُوعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيِّ—

كُ وسالتُ جراحُها الملتامة

ما الذى شاقَّه إلى عالم الروُّ

ح ؟ أجلُ تلكَ روحهُ المستهامة !

راعها النورُ وهى فى ظلمة الكـ

كونٍ فخفتُ إليه تطوى ظلامه

هى بنتُ السماءِ وهو من

الأرض سليلُ نما الترابُ عظامه

فاهتفوا باسمه فما مات ، لكنْ

أثرَ اليومَ فى السماءِ مقامه !

* * *

حدثتني الرياضُ عنه صباحاً

ما لصدأحها جفا أنغامه ؟

وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ

لم يُحمِّه للحبيبِ سلامه

وتسمعتُ للغديرِ يُنادى

ما الذى عاقَ طيره وحيامه ؟

أُترأه ترشَّفَ الفجرَ نوراً

أم شفى من ندى الصباحِ أوامه

ورأيتُ الجمالَ في شُعبِ الوادى
ينادى بطاحهً و أكمامه
صارخاً يستجيرُ شاعره الشُّ
سادى ، ويدعو لفته رسامه
فتَلَفْتُ باكياً وبعينى
شَبَّحَ تخطرُ المنونُ أمامه
هتفَ القلبُ بالمنادينَ حولى :
لَقِيَ الصادحُ الطروبُ حمَامه
فانكروا شدوه بكل صباح
وارقبوا من خياله إمامه
واملاوا الأرضَ والسماة هتافاً
علَّه لم يرَ الصبَّاحُ فنامه

* * *

لم يرُعْنِي من جانبِ النيلِ إلا
كرمته فوقها ترفُ غمامه
تحت ساجى ظلالها زهرة تبـ
كى ، وفى فرعها تنوحُ حمَامه
عرفتها عينى ، وما أنكرتها ،
من ظلامٍ و وحشةٍ و جهامة

قلتُ يا كَرَمَة ابنِ هانى سَلاماً
 ليسَ للمرءِ فى الحِياةِ سَلامَة
 نحنُ ، لو تعلّمينَ ، أشباحُ ليلِ
 عابرٍ يَنسُخُ الضياءُ ظلامه
 والذى تلمحّينَ من لَهَبِ الشـ
 مسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه
 والذى تبصّرِينَهُ من نجومِ
 فَلَكَ يرصدُ القضاءُ نظامه
 عبثاً تُنشدُ الحِياةُ خلوداً ،
 ونرجى الصُّبَا ، ونبغى دوامه
 إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ
 بٌ وفى جوفهِ تطيبُ الإقامَة
 أودعَ القلبُ فيه ألامه الكـ
 بدى ، وألقى بيباه أحلامه
 نَسىَ الناعمونَ فيه صباهُم
 وسلا المغرمُ المشوقُ غرامه
 فامسحِ الدمعَ وابسمى للمنايا
 إنْ دنيّاكِ دمعَةٌ وابتسامَة ! !

* * *

أيها المسرحُ الحزينُ عزاءُ
 قد فقدتَ الغداةَ أقوى دِعامه
 ذهبَ الشاعرُ الذي كنتَ تستو
 حى وتستلهمُ الخلودَ كلامه
 ولكَ اليومَ همّةٌ في شبابٍ
 ملأوا العصرَ قوةً و همامةً
 نزلوا ساحةً يشيدونَ للمجـ
 دٍ وشقوا إلى الحياةِ زحامه
 فاذكروا نهضةَ البيانِ بأرضٍ
 أطلعتُ في سمائها أعلامه
 إنها أمةٌ تغارُ على الفنِّ
 وترعى عهدَه و ذمامه
 لم تزلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ في الشر
 قٍ ، وفي كفِّها لواءُ الزعامه
 إنَّ يوماً يفوتُها السبقُ فيه
 لهو يومُ المعادِ يومُ القيامة ! !



١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هَنَاتُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَاراً
يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَاراً
دَمَشَقُ ! يَا بِلَدَ الْأَحْرَارِ ، أَيْ فَتَى
لَمْ يَمْتَشِقْ فِيكَ سَيْفٌ أَوْ يَخُضُّ نَاراً ؟ !
ذَوْدَا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ ، مِنْ دَمِهِ
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَاماً وَأَسْوَاراً
زَكَّتْ « أُمِّيَّةٌ » فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
دَمّاً يُرَوِّى الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَ
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرِفُهُ
يَوْمَ تَبَارَكَ أُنْدَاءُ وَأَسْحَارُ
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلُ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
عَرُوبُهُ فِيكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالْدَارَ
لَوْلَا مَصَابٌ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
نَاراً ، وَهَاجَ النَّسِيمَ الْعَذْبَ إِعْصَاراً

وردع الأمة الغلباء في رَجُلٍ
شدته قوساً ، وسلت منه بتاراً
من النوابع أعماراً إذا قصرت
مد النبوغ لهم في الخلد أعماراً
أحرار مملكة في الرأي ما أثموا
سمّاهم الغاصب الظلام ثواراً
ثاروا على القيد حتى انحل ، واقتحموا
على الطواغيت حصن الظلم فانهارا
... لولاه كان إليك البرق راحلتى
أطوى به الجو أفاقاً وأقطاراً
وجئت «فيحاء» أزجى الشعر مُفْتَقِداً
تحت الصفائح مقداماً ومغواراً
والمفتدون ، شراً الخلد ، قلّ لهمو
ما ينظم المدح الحاناً وأشعاراً !



١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابي

لا السيفُ قرُّ ولا المحاربُ عاداً
وسسيحُ البشيرِ ! بأى سلمٍ نادى ؟
الأرضُ من أجسادٍ من قُتِلوا بها
تَجْنِي العذابَ وتُنَبِّتُ الأحقادا
فاضَ السحابُ لها دماً - مَدُّ شَيْعَتُ
شمسَ النهارِ - فخالطتهُ سوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحيائها
أتراهمو صبَّغوا السماءَ حِدادا !
ودَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ
لو أطفأوه وأسقطوه رَمَادا
وتخوَّفُوا ومَضَ الشَّهابُ إذا هَوَى
ويُروِقُ كلُّ غمامةٍ تتهادى
ولو انَّهُم وصلُّوا السماءَ بعلمهم
ضربوا على أفاقها الأسدَادا
لولا لوامعُ من نُهى وبصائرُ
تَغزُّو كُهـوفاً أو تَؤمُّ وهادا

لَمْ يَرِقْ عَقْلٌ أَوْ تَرِقْ سَرِيرَةٌ
وَقَضَى الْوَجُودُ ضَلَالَةً وَفَسَادًا
رَاعَ الطُّغَاةَ شُعَاعُهُ فَتَسَاءَلُوا
مَنْ نَصُّ هَذَا الْكُوكَبِ الْوَقَادَا ؟
إِنْ تَجْهَلُوا فَسَلُّوا بِهِ أَبَاءَكُمْ
أَيَّامَ شَعْ عَدَالَةٍ وَرِغَادَا
هَلْ أَبْصَرُوا حُرِّيَّةً إِلَّا بِهِ
أَوْ شَهِدُوا لِحُضَارَةٍ أَوْتَادَا ؟
حَمَلَتْ سَنَاهُ لَهُمْ يَدٌ عَرَبِيَّةٌ
تَبْنِي الشُّعُوبَ وَتَنْسِجُ الْآبَادَا
هِيَ أُمَّةٌ بِالْأَمْسِ شَادَتْ دَوْلَةً
لَا تَعْرِفُ الْعِبْدَانَ وَالْأَسْيَادَا
جُرْتُمْ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ بَعْدَكُمْ
وَعَدِيدِكُمْ تَتَخَايِلُونَ عَتَادَا
وَمَنْعَتُمُوهَا مِنْ مَوَاهِبِ أَرْضِهَا
مَاءٌ بِهِ تَجِدُ الْحَيَاةَ وَزَادَا
فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فَتَى مِنْ نُورِهَا
قَدَحَتْ بِهِ كَفُّ السَّمَاءِ زِنَادَا

سَلَّتْهُ سَيْفًا كِي يَحْرُرَ قَوْمَهُ
وَيُزِيلَ عَنْ أوطَانِهِ اسْتِعْبَادًا
مَا بِالْكُمْ ضِيقُكُمْ بِهِ وَحَشَدُكُمْ
مَنْ دُونِهِ الْأَسِيَّافُ وَالْأَجْنَادَا ؟
أَشْعَلْتُمْ سَوَاهَا ثَوْرَةً دَمَوِيَّةً
لَا تَعْرِفُونَ لِنَارِهَا إِخْمَادًا
حَتَّى إِذَا أَوْهَى الْقِتَالُ جِلَادَكُمْ
وَمَضَى أَشَدُّ بِسَالَةً وَجِلَادًا
جِئْتُمْ إِلَيْهِ تَهَادِنُونَ سَيُوفَهُ
وَسَيُوفَهُ لَمْ تَسْكُنِ الْأَغْمَادَا
وَكُتِبَتْمو عَهْدًا - بِحَدِّ سَيُوفِكُمْ -
مَزَقْتُمُوهُ وَلَمْ يَجِفْ مِدَادًا

* * *

الْأَهْلُ أَهْلُكَ ، يَا أَمِيرُ ، كَمَا تَرَى
وَالْـدَارُ دَارُكَ قُبَّةٌ وَ عِمَادَا
أَنْتِ نَزَلْتَ بِمَصْرٍ أَوْ جَارَاتِهَا
جِئْتِ الْعُرُوبَةَ أُمَّةً وَبِلَادَا
مَدَّتْ يَدَيْهَا وَ احْتَوَتْكَ بِصَدْرِهَا
أَمْ يَضُمُّ حَنَانُهَا الْوِلَادَا

ولو استطاعت رَدُّ ما استودعتُها
رَدَّتْ عليك المَهْدَ و الميـلادَا
وَأَتَتْكَ بِالذِّكْرِ الخِوَالِدِ طاقَةً
كَأَجَلٍ ما جَمَعَ المَحَبُّ وَهَادَى
مَازَا لَقِيتَ مِنَ الزُّمَانِ بِصَخْرَةٍ
قَاسَيْتَ فِيهَا غُرْبَةً وَ وَحَادَا ؟
وَيَلَوْتَ مِنَ صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِمْ
فِيهَا اللَّيَالَى وَالسَّنِينَ شِدَادَا ؟
جَعَلُوا الْبَحَارَ ، وَمِثْلَهُنَّ جِبَالُهَا ،
سَدًّا عَلَيْكَ وَأَوْسَعُوكَ بَعَادَا
دَعَهُمْ ! فَأَنْتَ سَخِرْتَ مِنْ أَحْلَامِهِمْ
وَأَطَرْتَهُنَّ مَعَ الرِّيحِ بِدَادَا
عِشْرِينَ عَاماً ، قَدْ حَرَمْتَ عِيُونَهُمْ
غَمُضَ الْجَفُونِ ، فَمَا عَرَفْنَ رُقَادَا
يَتَلَفَّتُونَ وَرَاءَ كُلِّ جَزِيرَةٍ
وَيَسْأَلُونَ الْمَوْجَ وَالْأَطْوَادَا
مِنْ أَيِّ وادٍ .. مَوْجَةً هَتَفَتْ بِهِ
وَمَضَى ، فَحَمَلَهَا السَّلَامَ ، وَعَادَا

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولَةَ فارسِ
لبلادهِ بدمِ الحُشاشةِ جاداً
نادى بأحرارِ الرجالِ فقربوا
مُهْجاً تموتُ وراءَهُ استشهادهَا
يدعو لحقٍّ أو لإنسانيةٍ
تأبى السجونَ وتلَعَنُ الأصفادَا
شيخُ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أن ترى
هذي الفتوحَ وهذهِ الأمجادَا
« الرِّيفُ » هَبْ منازلًا وقبائلًا
يدعو فتاهُ الباسلِ الذُّؤادَا
حَنُّ الحُسَامِ لِقَبْضَتَيْكَ ، وحمَمتُ
خيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قيادَا
وعلى الصُّحارى من صدَاكَ ملاحِمُ
تُشجِي النُّسُورَ وتُطْرِبُ الآسادَا
أوْحَتْ إلى العُربِ الحُدَاءَ ، وألهمتُ
فُرسانهمُ تحت الوغى الإنشادَا
عبدُ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى
إلا صراعاً قائماً وجهادَا

الشرقُ أجمعهُ لواءٌ واحدٌ
نظَّم الصفوفَ وهيأ القوادا
لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
أو ينسُ من مُترقَّبٍ ميعادا
سالتُ حلقُ الهاتفينَ دماً ، وما
هزُّوا لطاغيةِ الشعوبِ وِسادا
فصنَّ البيانَ بهِ ، وأنطقَ حدُّه
يسمَعُ إليك ، مكرراً ومُعادا
كذبتُ موداتُ الشفاه ولم أجِدْ
رغمَ العداوةِ كالسيوفِ وِدادا



١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جددتِ ذاهبَ أحلامي وليلاتي

فهلّ لديكِ حديثٌ عن صباباتي ؟

يا كعبةً لخيالاتي ، وصومعةً

رتلتُ في ظلّها للحسنِ آياتي

للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها ،

وللجمالِ بها أولى رسالاتي

عليكِ وادى أحلامي وقفتُ أرى

طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ

أوى إلى جنباتِ الصخرِ منفردا

أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتِ

قد غيّرتنا الليالي بَعْدَهَا سيرا

وخلّفتنا العوادي بعضَ أشتاتِ

تلفتُ القلبُ في ليلاءٍ باردةٍ

يبكي لياليكِ الغُرُ المضيئاتِ

وذكریاتٍ من الماضي يُطالعُها
بينَ الحقولِ وشُطآنِ البحيراتِ

* * *

يا طولَ ما نَغُمْتُ للصُّخْرِ أناتى
وشدَّ ما رجُعتُ للموجِ أهاتى
يا قلبُ ، وادى الصَّبَا حالتُ مسارِحُهُ
وأقفرتُ من صباياهُ الجميلاتِ
فلا الجداولُ تحدوها مسلسلةُ
ولا الخمائلُ تهفو بالنضيراتِ

صَوَّحَنَ من مشرقِ الوادى لمغربِهِ
فما بهنَّ مُطيفٌ من خيالاتِ
ما فى حياتِكَ من سلوى تلوذُ بها
لكنهُ الحبُّ ذاكَ القاهرُ العاتى
قد فاجأتكَ غواشيهِ التى سكنتُ
إنَّ الليالىَ ملأى بالفُجاءاتِ

* * *

يا للُّبحيرةِ : من يرتادُ شاطئها
ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجاتى ؟

ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلاتها
وما غَنَمْنَا عليها من أويقاتِ
وخلوةٍ في حَفَافِيتها وقد عَبَّتْ
يَدُ الصَّبَا بحواشيها الموشاةِ
يضمُّنا باسِقُ ، في الشِّطِّ ، منفردُ
ضمُّ الشَّتَّيْتَيْنِ في علياءِ جناتِ
والقلوبِ أحاديثُ يجاوبُها
تناوَحُ الطيرِ في ظلِّ الخميلاتِ

* * *

يا ليلةٌ قد ذهَلْنَا عن كواكبها
في زورقِ بين ضفِّاتِ ولجأدِ
يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعُهُ ،
كالنجمِ يسبحُ في علوىِّ هالاتِ
وفي الشَّوْاطِئِ للمجدافِ أغنيةُ
يَصُبُّها الموجُ في سحرىِّ موجاتِ
ما كانَ أهْنَاهَا دنيا ، وأهْنَانَا
في ليلها الصُّحُو، أوفى فجرها الشَّاتِى

مرّت خيالاتُ ماضيها ، وما تركتُ
سوى وجوم لياليها الحزيناتِ
ومن تَلَهَّفِ أحنائى وثارتها
يا للجوانح من وجدى وثاراتى
يا صرخة القلب ، هل اسمعتِ منك صدئ
من ذا يردُّ الصدى فى جوفِ مومة ؟
جوبى مفاوز أيامى فقد صفرّت
من نبع ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ
قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى
وضلتُ العينُ فيها إثرَ غاياتى
حتى العواصفُ صمتتْ عن نداءاتى
فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شجابى فى يفاعته
ورحتَ تسخرُ من دمعى وأناى
حرمتَ أيامى الأولى مفارحها
فما نعمتُ بأوطارى ولذاتى
قدعُ فؤادى محزوناً يرفُّ على
ماضى ليالى ، وانعم ، أنت ، بالآتى

دَعْنِي عَلَى صَخْرَةِ الْمَاضِي لَعْلُ بِهَا
مِنْ الصَّبَابَةِ وَالتَّحْنَانِ مِنْجَاتِي !

✍ ✍ ✍

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أَنْتِ ، أَيُّهَا الطَّبِيعَةُ ، كَالْحَزِينَةِ فِي بِلَادِي ؟
لَوْلَا أَغَارِيدُ تَرْسُلُ بَيْنَ شَادِيَةٍ وَشَادِي
وَحَيَالُ ثَوَرٍ حَوْلَ سَاقِيهِ يُرَاوِحُ أَوْ يُغَادِي
وَقَطِيعُ ضَائِنٍ فِي الْمَرْجِ الْخَضِرِ يُضْرِبُ بِالْهَوَادِي
لَحَسِبْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ مَهْجُورَةٌ مِنْ عَهْدِ عَادٍ
هَجْرُوكِ ، لَا كُنْتَ الْعَقِيمَ وَلَسْتَ مُنْجِبَةَ الْقَتَادِ
عَجَباً وَمَاؤُكَ دَافِقٌ وَنَجُومُ أَرْضِكَ فِي اتِّقَادِ
لَوْ كُنْتَ فِي الْغَرْبِ الصَّنَاعِ لَكُنْتَ قِبْلَةً كُلُّ هَادِي
وَأَفْتَنُ فَيْكَ الْفَنُ بِالرُّوحِ الْمُحَرِّكَ لِلْجَمَادِ
وَتَفْجَرُ الْمَرْحُ الْحَبِيسُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ وَوَادِي
وَلَقُلْتُ ابْتَدَرُ الشُّدَاةَ غَدَاةً فَجَرٍ أَوْ تَنَادِي
هَذِي الرِّوَانِعُ فَيْكَ لَمْ تُخَلِّقْ لَغَيْرِكَ ، يَا بِلَادِي !



١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخي ! إن وردت النيل قبل ورودى
فحي زمامى عنده و عهدى
وقبل ثرى فيه امتزجنا أبوة
ونسلمه لابن لنا وحفيد
أخي ! إن أذان الفجر لبیت صوته
سمعت لتكبرى ووقع سجودى
وما صغت قولاً أو هتفت بأية
خلا منطقى من لفظها وقصيدى
أخي ! إن حواك الصبح ريان مشرقاً
أفقت على يوم أغر سعيد
أخي ! إن طواك الليل سهمان سادرا
نبا فيه جنبى واستحال رقودى
أخي ! إن شربت الماء صفواً فقد زكت
خمائل جناتى وطاب حصيدى
أخي ! إن جفاك النهر أو جف نبعه
مشى الموت فى زهرى وقصف عودى

فكيف تُلاحِني وألحاك ؟ إنني
شهيدك في هذا .. وأنت شهيدى !
حياتك في الوادى حياتى ، فإنما
وجودك في هذى الحياة وجودى

* * *

أخى ! إن نزلت الشاطئَين فسَلهما
متى فضلا ما بيننا بحدود ؟
رَمانى نذيرُ السوءِ فيك بنبأةٍ
فَجَلَّ بالأحزانِ ليلة عيـدى
وغامت سمانى بعد صفوٍ وأُخْرِستُ
مزاهرُ أحلامى وماتَ نشيدى
غداةَ تَمَنَّى المستبِدُّ فِراقنا
على أرضِ آبائِنا وجـودِ
وزفِّنا زَيْفَ الأمانى علالةٍ
لعلُّ بنا حُبُّ السَّيادةِ يُودى
أُخوتنا فوقَ الذى مانَ وادعى
وما بيننا من سيِّدٍ ومسودٍ
إذا قال «الاستقلالُ» فاحذره ناصباً
فِخاخَ «احتلالٍ» كالدَّهورِ أبـيدٍ

وكم قَبْلُ مَنَانِي ، على وَفَرٍ ما جَنَى
بِحَرَبَيْنِ ، من زرعٍ وضرعٍ وليدي
فلما أتاه النصرُ حاجتهُ شِرَّةً
فهمُ بنكراني ورامَ جُحودي
ألا سلَّه ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجةً
أنجزَ من وَعْدٍ ؟ أفكُ قِيودي ؟



١٥ - القبرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيها الروحُ يهفو حوْلَهُ الفَرْحُ
تحيّةً ، أيُّ هذا الصّادِحُ المَرِحُ
من أمةِ الطَّيْرِ هذا اللّحنُ ما سمِعتُ
بمثله الأرضُ ، لا روضٌ ولا صدَحُ
أنت الذى من سماءِ الروحِ منهلةٌ
خمرٌ إلهيةٌ لم تحوِّها قَدَحُ
يفيضُ قلبُك الحاناً يُسلسِلُها
فنٌ طليقٌ من الوجدانِ منسرحُ !

* * *

وعالياً ، عالياً ، لا زلتَ منطلقاً
عن الثرى ، تصلُ الآفاقَ أَمَدا
مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةٌ ،
والبرقِ مؤتلقاً ، والنَّجمِ وقّاداً
يهفو جناحاك فى أعماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تُضربُ فى الآفاقِ مُرتاداً

تشدو فتُمنعُ في أجوازها صُعُداً

فإن علوت بها أمعنت إنشادا

* * *

ومائج ذهبى النور قد غرقت

في ذوبه الشمس عبر العالم الثانى

توهج السحب البيضاء حمرته

فتستحيل عليها ذات ألوان

أشعة ذات أمواج غدوت بها

تطفو وترسب في لجيها القانى

كأنما أنت - جذلانا تراوحنا -

روح من الطرب العلوى نورانى

* * *

تذوب حولك إما طرت في أفق

غلالة الأرجوان الشاحب الساجى

كنجمة في سماء الليل خافقة

تذوب في فلق الصبح وهاج

يا من تطربنى الحسان غبطة

وما رأيت له طيفاً بمعراج

أَلَا أَرَاكَ فَإِنِّي سَامِعٌ نَغْمًا

يَهْفُو إِلَى بِإِطْرَابٍ وَإِبْهَاجٍ

* * *

وصاعداً في مضاءِ السهمِ أرسلةً

قوسٌ من الكوكبِ الفضيّ منزعةً

ينأى فيخبر رويداً وهجٌ شعلته

حتى يلاشئ كأنَّ الفجرَ يتبعه

ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا

وما يبينُ لنا من أينَ مطلعه

حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا

دلُّ الشعورُ على أن ذاكَ موضعه ! !

* * *

هذي السماءُ بموسيقاك مائجةً

والأرضُ يغمُرُها من صوتك الطربُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غمامةٍ خلقتُها وحدها السحبُ

وقد بدا القمرُ الوضاحُ يُمطرُها

إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ ينسكبُ

يرمى السموات سيلً من أشعتها
تكاد تسبح في طوفانه الشهب

* * *

من أنت ، يا من يجوب الليل منفرداً
ولم تقع لي عليه بعد عيتان ؟
أى الخليفة قل لي أنت تشبهه
وأيها منك في أوصافه داني ؟
وهذه السحب أصباغاً مشكّلة

في رائع من فريد اللون فتان
لا ينزل الغيث منها مثلاً نزلت
شئ أغانيك في سحري ألحان !

* * *

كشاعر في سماء الفكر مختبر
دل الوجود عليه لحنه العالى
ألحان أغنية أمسى يرتلها
كمرسى من نشيد الخلد سيال
أسلن بالعالم السالى خوالج

حتى استحال شجوناً قلبه الخالى

بعثن من ألم فيه ومن أمل
ما لم يكن منه في يوم على بال

* * *

كان حورية في ظل شاهقة
من البروج تقضى العيش في خلس
لم يغمض النوم عينيها ولا خمدت
نيران قلب لها في فحمة الغلس
باتت تلطف ألاماً تساورها

في عزلة بنشيد ساحر الجرس
تطوف الحان موسيقاه مخدعها
كأنه الحب في إيقاعه السلس

* * *

كان بين الربا التفت خمائلها
فراشة من سبيك التبر جكواء
يا حسن أجنحة منها مذهبة
قد رقشتها من الأسحار أنداء
تري السماء صفاء فهي إن خطرت
فلسماء بهذا اللون إغراء

تجلو الأزاهر والأعشاب طلعتها
إذا بدت ولها فيهن إخفاء

* * *

كزهرة الحقل في غيئاء سرحتها
لم يملأ النور من أجفانها حدقا
حتى إذا لفحتها الريح هاجرة
زكت وأريت على أملودها ورقا
وأرج الحقل من أنفاسها عبق
يشوق كل جناح نحوها خفقا
تهفو إليها من الأنسام أجنحة
من كل منطلق من عطرها سرقا

* * *

ووقع لحنك في الأسحار أرخم من
وقع الندى فوق أعشاب البساتين
قد نقط الزهر المنصور سلسله
وجاد بالطل أقواف الرياحين
يا من على صوته في الأفق منسجما
تصحو الأزاهر في أفنانها الغين

كلُّ البدائعِ مهما افتنُّ مبدعُها
لم تعدُّ لحنك في صوغِ وتلحينِ

* * *

قل لي : أمن ملكوتِ الروح منطلقُ
أم طائرُ أنت في الآفاقِ هيمانُ ؟
أيُّ الخواطرِ من حسنٍ ومن بهجِ
يُشيعها منك في الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبُ قلوبُ من أضالعها
لفيرِ صوتِكَ أو تنصبُ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ بات يسكبهُ
من جانبِ الله أنغامٌ وأحانُ !

* * *

من أين تلك الأغاني أنت تُرسلُها ؟
من أيِّ مطردِ الينبوعِ مُنْجِمِ ؟
من أيِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةِ ؟
أيُّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأيُّ حبٍّ أليفٍ منك أو وطنِ ؟
وأيُّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامك والآفاق حائلة
وفى انتباهك والظلماء إصغاء
لابد من نبأ للموت تعرفه
وفى فؤادك عنه اليوم أشياء
لأنت أعمق فكراً فى حقائقه
مما نراه ونحن اليوم أحياء
أو لا ! فكيف انسجام اللحن مطرداً
يُجريه من رائق البللور لآلاء ؟

* * *

إنا نفكر فى ماضٍ بلا أثرٍ
ومقبلٍ من حياةٍ كلها غيبٌ
ومستحلٍ نرجى برق ديمته
وكل ما نرتجيه منه مختلبٌ
وكم لنا ضحكاتٍ غير صادقةٍ
ما لم يشب صفوها التبريح والوصب
وإن أشهى الأغاني فى مسامعنا
ما سأل وهو حزينٌ اللحن ، مكتئبٌ !

* * *

هَبَّنَا عَلَى رَغْمِ هَذَا لَيْسَ يَجْمَعُنَا
بِالْحَقْدِ أَوْ كِبَرِيَاءِ النَّفْسِ أَوْ هَاقُ
فَلَا الْقُلُوبُ لَدَى الْبِئْسَاءِ جَازِعَةٌ
وَلَا بَهْنٌ إِذَا رُوِّعْنَ إِشْفَاقُ
وَمِنْنَا قَدْ دَرَجْنَا فِي خَلِيقَتِنَا
بِلَا دَمْعٍ تَذَرِيهِنَّ أَمَاقُ
فَكَيْفَ كُنَّا إِذَا نَلَقَاكَ فِي فَرْحٍ !
أَوْ يَغْمُرُ الرُّوحَ لَحْنٌ مِنْهُ رَقْرَاقُ ؟

* * *

يَا أَعَذِبَ الطَّيْرَ مُوسِيقَى وَأَرْوَعَهَا
مَنْ كُلُّ رَائِقٍ أَنْفَامٍ وَالْحَانَ
وَيَا أَعَزُّ لَنَا مِنْ كُلِّ مَا جَمَعْتُ
نَفَائِسُ الْكُتُبِ مِنْ دُرَى تَبْيَانِ
يَا مَا أَحَقُّ اقْتِدَارًا مِنْكَ قُدْرَتُهُ
بِشَاعِرٍ لَبِيقِ التَّصْوِيرِ فَنَانِ
أَنْتَ الْمَبْرَأُ فِي حُبٍّ وَعَاطِفَةٍ
يَا مَنْ تَعَالَيْتَ عَنْ أَرْضٍ وَإِنْسَانِ

* * *

أما تُعلمني مما يفيضُ بهِ
غناؤك العذبُ تطراباً وتحناناً !
ذاك الحنونُ الذي يُهدي توافقه
إلى من صدحاتِ الخلدِ الحانا !
أستُكهمني وحيأ يفيضُ بهِ
فمي ، فأملأ قلبَ الكونِ إيماناً !
أشدو فيلقى إلى الكونِ مسمعه
يُصغي إلى كما أصفى لك الآنا !



١٦ - الملاح الثَّائِه

أيها الملاحُ قم واطوِ الشِّراعَا
لِمَ نطوى لُجَّةَ اللَّيْلِ سِرَاعَا
جَدِّفِ الْآنَ بِنَا فِي هِينَةٍ
وَجْهَةَ الشَّاطِئِ سِيراً وَاتِّبَاعَا
فَغَدَاً ، يَا صَاحِبِي ، تَأْخُذُنَا
مَوْجَةُ الْأَيَّامِ قَذْفَاً وَانْدِفَاعَا
عَبَثًا تَقْفُو خُطَى الْمَاضِي الَّذِي
خَلَّتْ أَنْ الْبَحْرَ وَارَاهُ ابْتِلَاعَا
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَوْيَقَاتِ هَوًى
وَقَفْتُ عَنْ دَوْرَةِ الدَّهْرِ انْقِطَاعَا
فَتَمَهَّلْ ، تَسْعِدِ الرُّوحُ بِمَا
وَهَمَّتْ ، أَوْ تَطْرِبِ النَّفْسُ سَمَاعَا
وَدَعِ اللَّيْلَةَ تَمْضِي ، إِنَّهَا
لَمْ تَكُنْ أَوْلَ مَا وَلَّى وَضَاعَا
سَوْفَ يَبْدُو الْفَجْرُ فِي أَثَارِهَا
ثُمَّ يَمْضِي ، وَدَوَالِيكَ تِبَاعَا

هذه الأرضُ انتشتُ مما بها
 فغقتُ تحلُم بالخلدِ خداعا
 قد طَوَّأها الليلُ حتى أوشكتُ
 من عميقِ الصمتِ فيه أن تُراعا
 إِنَّهُ الصمتُ الذى فى طيِّه
 أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعا
 سمعتُ فيه هُتافَ المنتهى
 من وراءِ الغيبِ يُقربها الوداعا
 أيها الأحياءُ ، غنُّوا واطربوا
 وانهبوا من غَفَلاتِ الدهرِ ساعا

* * *

أه ، ما أروعها من ليلةٍ
 فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
 نفخَ الحبُّ بهما من روجه
 ورمى عن سِرِّها الخافى القناعا
 وجَلا من صُورِ الحُسْنِ لنا
 عبقرياً لَبِقَ الفنِّ صنَّاعا
 نفحاتُ رَقصِ البحرِ لها
 وهفاً النجمُ خُفوقاً والتماعا

وسرى من جانب الأرضِ صدىً
حركَ العُشبَ حناناً واليراعا
بعثَ الأحلامَ من هجعتها
كسرايا الطيرِ نُقُرنَ ارتياعا
قُمْنِ بالشاطيءِ من وادى الهوى
بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا
أيها الهاجرُ عزُّ الملتقى
وأذبتَ القلبَ صداً وامتناعا
أدركَ التائهَ فى بحرِ الهوى
قَبْلَ أنْ يقتلهُ الموجُ صِراعاً
وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً
عنه ضاقتُ رقعةُ الأرضِ اتساعاً
ضلُّ فى الليلِ سُرَاهُ ، ومضى
لا يرى فى أفقٍ منه شعاعاً
يجتوى اللافحَ من حرِّ قيته
وعذابِ يُشعلُ الرُّوحَ التِياعاً
والأسى الخالدَ من ماضٍ عفا
والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فاجعلِ البحرَ أماناً حولهُ

واملا السهلَ سلاماً واليفاعاً^(١)

وامسحِ الآنَ على الامهِ

بيدِ الرفقِ التي تمحو الدُماعاً^(٢)

وقُدِّ الفُلكَ إلى برِّ الرُضَى

وانشرِ الحبَّ على الفُلكِ شِراعاً



(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدُماع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدراجة

تمهلي فراشة الصبّاح
أسرقت في الغدو والرواح
ماذا ارتياد الطرّق الفساح
والوثب فوق العشب والصفاح
بين الروابي الخضر والبطاح
بالشعر المهدل السباح
كالموج تحت العاصف المجتاح
والنهد وهو مطلق السراح
يخفق بين الصدر والوشاح
والساق خلف الساق في كفاح
في حلقة طاغية الجماح
تدور مثل البارق اللماح
تود لو طارت مع الرياح
وحلقت في كبد الصراح
بلطف هذا الجسد المراح
وخفة في روحك الصدادح

تَكَادُ تُغْنِي الطَّيْرَ عَنْ جَنَاحٍ !
يَا لِهَوَاءٍ عَابَثِ مَفْرَاحٍ
سُكَرَانٌ ، لَا مِنْ خَمْرٍ الْأَقْدَاحِ
بَلْ مِنْ صِبَاكَ ، وَالصَّبَا كَالرَّاحِ
يَرْفَعُ طَرْفَ الثُّوبِ فِي مَزَاحِ
لَا يَسْتَحْيِ مَنْ لَا نَمْرَ وَلَا حَيَّ



١٨ - على حاجز السفينة

- حَتَّتْ عَلَى حَاجِزِ السَّفِينَةِ
- ترنو إلى الرُّغْوِ والزُّيْدِ
- كَأَنَّهَا الْفِتْنَةُ السَّجِينَةُ
- تمضي بهـا أُلْجَةُ الْأَبْدِ
- نَبَتَ بِهَا ضَجَّةُ الْمَكَانِ
- يزينها الصَّمْتُ وَالْجَلَالُ
- وَالْبَحْرُ مِنْ حَوْلِهَا أَغَانِي
- وَالسُّحْبُ وَالرِّيحُ وَالْجِبَالُ
- سَاحِرَةٌ وَحْدَهَا تُطَلُّ
- بِمَلْتَقَى النُّورِ وَالظُّلَامِ
- لَا تَسَامُ الصَّمْتُ أَوْ تَمَلُّ
- تَهَامِسُ الشُّهُبُ وَالْقَمَامُ
- تُصْغِي إِلَى الْمَوْجِ وَالرِّيَّاحِ
- فِي مَعْزِلِ شِقَاقِ كُلِّ عَيْنِ
- كَأَنَّهَا نَجْمَةٌ الصَّبَاحِ
- مُطَلَّةٌ مِنْ سَحَابَتَيْنِ

- هَفَافَةُ الثَّوْبِ فِي بِيَاضٍ
يَكَادُ عَنْ رُوحِهَا يَشْفُ
- لَا يَذْكُرِي وَائٍ مَاضٍ
يَسْرِي بِهَا خَاطِرٌ وَيَهْفُو؟
- وَمَا وَرَاءَ الْعُبابِ تَبْغِي
وَائٍ سِرٌّ لَهَا تَبْدِي
- وَائٍ لَحْنٌ إِلَيْهِ تُصْغِي
بِرُوحِهَا الْحَالِمِ اسْتَبْدَا؟
- عَجِبْتُ لِلْبَحْرِ مَا عَرَاهُ
يُودُّ لَوْ مَسَّ نَظْرِيهَا
- يَتَاخَمُ النُّجْمُ فِي عِلَاهُ
وَيَنْثَنِي جَائِئاً لَدِيهَا
- وَهَائِمٌ فِي الْفَضَاءِ صَبٌّ
مُجَنِّجٌ لَا يَبِينُ طَيْفَا
- كَمْ وَدُّ لَوْ - مِنْ ضَنْيٍ وَحُبٍّ
هَوَى عَلَى صَدْرِهَا وَأَغْفَى
- كَمْ بَثٌّ مِنْ أُنَّةٍ وَ أَلْقَى
بِهَمْسَةٍ ضَائِعٍ صَدَاها

- يَاوَيْحَهُ لَا يَحِيرُ نَطْقًا
- فَكَيْفَ تُلْقِي لَهُ انْتِـبَاهَا ؟
- أَنْفَاسُهُ عَنْ جَوَاهُ تُغْنِي
- عَلِيلَةُ خَفَقَاتِهَا اضْطِرَابُ
- كَأَهْلَةٍ فِي قَمَرِ الْمُغْنَى
- جَرِيحَةُ لَحْنِهَا الْعَذَابُ
- يَدْنُو ، وَيَرْتَدُّ فِي حَيَاءٍ
- يُجَاذِبُ الثُّيُوبَ وَالشُّعْرُ
- وَكَلِمَا كُلُّ مِنْ عِيَاءٍ
- أَثَارُهُ الْوَجْدُ فَاسْتَعْرَ
- يَضُمُّهَا رَاعِشًا ، وَيَمْضِي
- مُبَاعِدًا ، وَهُوَ مَا ابْتَعَدُ
- كَأَنَّهُ بِالْحَنِينِ يَقْضِي
- لُبَّانَةَ الرُّوحِ وَ الْجَسَدُ
- وَالْقَمَرُ الطَّالِعُ الصَّغِيرُ
- أَزَاحَ عَنْ وَجْهِهِ السُّحَابَا
- وَقَدْ جَرَى ضَوْؤُهُ الْغَرِيرُ
- يَسْتَشْرِفُ الْأَفَقَ وَ الْعُبَابَا

- المَرِحُ العَابِثُ الطُروبُ
- لما دعا باسمه الشروقُ
- نادتُ به موجةُ لعوبُ
- إِلَى .. يا أيُّها المشـوقُ
- طالَ على المنتأى طُروقي
- وطالَ مسـراكَ في السَّماءِ
- فَنَمَّ على صدرى الخفوقِ
- واحلُمُ بما شئتَ من هـناءِ
- وأنسِنى وحشةُ الليالى
- بقُبلةٍ منك ، يا حبيبى
- لكنَّه مرُّ لا يبالى
- ولجَّ فى صمته العجيبِ
- مذ أبصرتَه انثنى ومراراً
- قالتُ ، ومن دمعها مَسِيلُ :
- لأنتَ مثلُ الرجالِ طُراً
- يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
- وهبتُك الغضُّ من شبابى
- سكرانٌ من خمِرِ أمسياتى

- فأينَ تمضي على العُبابِ
- من صَوْتِ حُبِّي وذكَـرياتي؟
- ومن هِيَ الغَداةُ التي
- تنسلُّ من مَخدعي إليها
- أعندها مثلُ فتنتي
- أم أننى أفتريَ عليها؟
- إذهبْ إليها ودعْ نِمامي
- فـديتُكَ ، اسلِّمْ على التنائى
- إذْبَحْ على صدرها غرامى
- واملأ لها الكأسَ من شقائى
- وآلُهُ مع الغيدِ والعذارى
- وغنِّ بالكأسِ والوترُ
- وانقِمْ من الغلَّةِ الأوارا
- واقطف من اللذةِ النُّمـرُ
- أبوكَ ، والطبعُ لا يحولُ ،
- ورَبَّتُهُ خَلَقَهُ و خَلَقَا
- يا أيها القلبُ الملولُ
- من قبضتى لن تنالَ عِشقا

- مُطَارِدٌ أَنْتَ بَاشْتِيَاقِي
- مَا جُبَّتْ أَرْضاً وَجُزَّتْ بَحْراً
- مُقَيَّدٌ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
- وَإِنْ رَأَيْتُكَ الْعَيَّيُونَ حُرّاً
- لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرَتْ طِفْلِي
- يَا ابْنَ الْهَوَى الْبَكْرِ وَالْأَلَمِ
- خُطَاكَ مَسْبُوقَةٌ بِظَلِّي
- وَإِنْ تَعَلَّقْتَ بِالْقِمَمِ
- سَأَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْكَ دَوَّماً
- وَأَقْطَعُ الْعَمَرَ فِي انْتِظَارِكَ
- وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمًا
- تَبْكِي ، وَأَبْكِي إِلَى جِوَارِكَ
- ضِرَاعُهُ مِنْ عَذَابِ أَنْثَى
- مَشَتْ عَلَى الْمَائِجِ الْغُضُوبِ !
- صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحْنَأَ
- سِوَاكِنَ الرِّيحِ لِلْهُبُوبِ
- وَحَدَّقَتْ فِي الدُّجَى نَجُومُ
- غَيْرِي ، تَغَامِزْنَ بِالْخَبِيرِ

- وغمغتُ نجمةً رؤومُ
- أما يرى ضوءُ القمرِ ! ؟
- أما يرى ذلكَ الصُّبَّيَّ
- يُؤَلِّبُ البَحْرَ والظلاما ؟
- فإِيا لَهْ فاتنا خَلِيًّا
- يُزَوِّدُ العَشِقَ والغراما !
- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلةٍ
- لم تَرَوْها عنه شَهْرَ زادُ
- وكم عناقٍ لَهْ وَقْبَلَهْ
- فى كِذْبَةٍ لَفْظُها مُعَادُ
- فاستوعبَ الضَّوءُ مَلءَ حَسَهْ
- مفاتنَ الناسِ والطَّبِيعَةِ
- مُرَدِّداً فى قِرارِ نَفْسِهْ
- ما أبشعَ الغيرةَ الوَضِيعَةِ ؟
- وارتعشَ الضَّوءُ ثم أضْفَى
- من حوله الصِّفْوَ والسَّكِينَةَ
- وابتسمتُ نَفْسُهْ فَأَلْفَى
- خطاهُ فى جانِبِ السَّفِينَةِ

- فِرَاعُهُ ذَلِكُ الْجَمَالِ
- جَمَالُهَا الصَّامِتُ الْحَزِينُ
- فَشَاقَّةُ الشُّعْرِ وَ الْخِيَالِ
- وَهَزُّهُ الْوَجْدُ وَالْحَنِينُ
- فَقَالَ : يَا رَوْعَةَ الْمَسَاءِ
- وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَ الْبَصَرِ
- قَدْ أَذِنَ اللَّيْلُ بِانْقِضَائِهِ
- وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهْرِ
- أَيُّهَا الْمَلَكَةُ الْكَسِيرَةُ
- أَيُّهَا الرِّبِّيَّةُ الْخَجُولَةُ
- أَيُّهَا الطِّفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
- لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الطِّفْلُولَةِ !
- أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
- وَإِنْ تَلَيَّمْتِ بِالْخَفَاءِ
- خَمْسُ لَيَالٍ وَأَنْتِ مِنِّي
- مَتَبَوِّعَةُ الظِّلِّ بِاشْتِهَائِي
- قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ
- مِنْ فِتْنِ الْحَسَنِ وَالْدَّلَالِ

- لَكُنْتُ اللَّيْلَةَ اكْتَشَفْتُ
- أرَوَّعَ مَا شِمْتُ مِنْ جَمَالِ
- عَشَقْتُ فِيكَ الْهُوَى وَ ذُكَّةُ
- فِي زَهْوَةِ الْحَسَنِ وَالشَّبَابِ
- وَذَلِكَ الصَّمْتُ ، مَا أَجَلُهُ
- فِي عَالَمِ اللَّغْوِ وَالْكَذَابِ
- هَارِبَةٌ أَنْتِ ، يَا فَتَاتِي
- مِنْ ثَوْرَةِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
- هَرَيْتِ مِنْ ضَجَّةِ الْحَيَاةِ
- فَكَيْفَ مِنْ نَفْسِكَ الْهَرَبُ ؟ !
- بِهَا أَبَدْنِي أَوَّلًا فَسَلِّي
- وَرَدِّكَ مِنْ شَوْكِهِ الْأَثِيمِ
- لَا الْبُعْدُ يَجْدِي وَ لَا التَّسَلِّي
- كَطَعْنِكَ الْغَدْرُ فِي الصَّمِيمِ
- مِنْبَهَةٌ لَمْ يَطْلُ مَدَاهَا
- تَرْوَعُ بِالصَّمْتِ وَ الشَّحَابِ
- لَمْ يَبْلُغِ اللَّيْلُ مُنْتَهَاهَا
- إِلَّا عَلَى رَوْعَةِ الْمَغْشَاةِ

- والتفتَ الضوءُ للوداعِ
يهمسُ في رِقَّةٍ و وجدِ
- يا ربَّه الحسنِ لا تُراعى
فلترعكِ الكائناتُ بعدي
- يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ
أيتها السحبُ و الظلالُ
- أيتها الغورُ و البطاحُ
أيتها الشهبُ و الجبالُ
- في الجوُّ ، في الماءِ ، في الثرى
صوني لها العهدَ والودادِ
- رُدِّي على عينها الكرى
وابعدي الفكرَ و السهادِ
- وأنقذها منَ الجوى
يا عاشقاتي على الزمانِ !
- بكلِّ ما فيك من قُوى
وكلِّ ما في من حنانِ !!



١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ في الظلام ولم تزلْ
عيناى ترقبُ كلُّ طيفٍ عابرٍ
ويطيرُ سمعى صوبَ كلِّ مرئىةٍ
في الأفقِ تخفقُ عن جناحي طائرٍ
وترفُّ روى فوق أنفاسِ الربا
فلعلُّها نفْسُ الحبيبِ الزائرِ
ويخفُّ قلبى إثرَ كلِّ شعاعَةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شهابٍ غائرٍ
فلعلُّ من لمحاتِ ثغركِ بارقٍ
ولعلُّه وضحُّ الجبينِ الناصرِ
ليلٌ من الأوهامِ طالَ سهادهُ
بين الجوى المضنى وهجسِ خاطرٍ
حتى إذا هتفتُ بمقدمكِ المنى
وأصختُ أسترعى انتباهةَ حائرٍ
وسرى النسيمُ من الخمائلِ و الربى
نشوانٌ يعبقُ من شذاكِ العاطرِ

وترنم الوادى بسلسلِ مائه
وتلت حمائمهُ نشيدَ الصافرِ
وأطلتِ الأزهارُ من ورقاتها
حيرى تعجبُ للربيعِ الباكرِ
وجرى شعاعُ البدرِ حولك راقصاً
طرباً على المرجِ النضيرِ الزاهرِ
وتجلتِ الدنيا كأبهج ما رأت
عينٌ وصورها خيالُ الشاعرِ
ومضتُ تُكذِّبني الظنونُ فأنثنى
متسمّعاً دقاتِ قلبى الثائرِ
أقبلتُ بالبسماتِ تملأُ خاطرى
سحراً وأملأُ من جمالك ناظرى
وأظلنا الصمتُ الرهيبُ ونحنُ فى
شكٍ من الدنيا وحلمٍ ساحرِ
حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتُ بى
فوقفتُ واستبقتُ خطاك نواظرى
وصرختُ بالليلِ المودعِ باكياً
ويداك تمسكُ بى وأنتَ مفادى

يا ليتنا لم نصنعُ منك وليتها
ما أعجلتك رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتت بعدُ الليالي وانقضتُ
وكاننا في الدهرِ لم نتزاوِرِ
بدُّتُ من عطفٍ لديك ورقيةٍ
بحنينٍ مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
وكاننى ما كنتُ إلفك في الصبا
يوماً ولا كنتُ الحياةَ مشاطرى
ونسيتَ أنتَ ، وما نسيتُ ، وإننى
لأعيشُ بالذكرى .. لعلك ذاكرى !!

✍ ✍ ✍

٢٠ - البحر والقمر

تَسْأَلُ الْمَاءُ فَيْكِ وَالشُّجْرُ
مَنْ أَيْنَ يَا « كَانُ » هَذِهِ الصُّورُ ؟
الْبَحْرُ وَالْحَوْرُ فِيهِ سَابِحَةٌ
رُؤْيُ بِهَامَا بَاتَ يَحْلُمُ الْقَمَرُ !
أَطْلُ وَالضُّمُوءُ رَاقِصُ غَزَلٍ
دَعَاهُ قَلْبٌ ، وَشَاقَّةُ بَصَرٍ
يَهْمِسُ فَيَمَّا يَرَاهُ مِنْ قِتْنٍ
أَلْهَمُهُ هَوْلَاءِ أَمْ بَشَرُ ؟
يَقْفِزُ مِنْ لَجَّةٍ إِلَى حَجَرٍ
كَأَنَّمَا مَسَّ رَوْحَةُ الضُّجَرِ
مَعْرِيداً لَا يَرِيْمُ سَابِحَةً
إِلَّا وَمِنْهُ بَثْفَرُهَا أَثَرُ
مِنْ كُلِّ حَوَاءٍ مِثْلَمَا خُلِقَتْ
يَعْجَبُ مِنْهَا الْحَرِيرُ وَالْوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عَنْهَا رِقَائِقاً وَنَضَتْ
جَسَماً تَحَامِي نِدَاءَهُ الْقَدَرُ

فِي حَانَةِ مَا عَلَتْ بِهَا عُمْدُ
وَلَا اسْتَوَى فِي بَنَائِهَا حَجَرُ
جُذُرَانِهَا الْمَاءُ ، وَالسَّمَاءُ لَهَا
سَقِيْفَةٌ ، وَالنِّسَاءُ السُّتُرُ
خِمَارُهَا مُنْشِدٌ ، وَسَامِرُهَا
حُورٌ تَلَوَّى ، وَفَتِيَّةٌ سَكُرُوا
لَمْ تَبْقَ فِي الشُّطِّ مِنْهُمْ وَقْدَمٌ
قَدْ خَوْضُوا فِي الْعِبَابِ وَانْتَثَرُوا
وَشَيَّعُوا الْعَقْلَ حِينَمَا شَرِبُوا
وَوَدَّعُوا الْقَلْبَ حَيْثَمَا نَظَرُوا
وَالسَّابِحَاتُ الْحَسَانُ حَوْلَهُمْ
كَأَنَّهُنَّ النُّجُومُ وَ الزُّهْرُ
يَزِيدُ سَيِّقَانَهُنَّ مِنْ بَهَجٍ
لَوْ أَنَّ عَجِيبُ الرُّوَاءِ مَبْتَكَرُ
يَضِيءُ وَرْدًا وَخَمْرَةً وَسَنَى
ذُوبٌ مِنَ الْمَغْرِبَاتِ مُعْتَصِرُ
تَغَايِرِ الْمَوْجِ إِذَا طَلَعْنَ بِهِ
وَنَارٌ مِنْ حَوْلِهِنَّ يَشْتَجِرُ

بهن يلف مرتقى ويرى
 ينشق عنهن فيه منحدر
 منفتلات قدودهن كما
 ينفتل الغصن آده الثمر
 مكوّحات بأذرع عجب
 تحذرهن النهود و الشعير
 والضوء فوق الخصور منهمر
 والماء تحت الصدور مستعر
 مازلن والبحر في توبّبه
 يرغى كما راع قلبه خطر
 قد جاوز الليل نصفه فمتى
 تؤم فيه أصدافها الدرر
 فليصخب البحر ولتئن به
 رماله ، وليثرثر الشجر
 ولتعصف الرياح فوق مائه
 ولينبجس من غمامه المطر
 أقسمن لا ينتحين شاطئه
 وإن ترامى بمائه الشرر

حتى يرى وهو فضة ذهب
تمازج الليل فيه والسحر !



٢١ - حلم ليلة

إِذَا ارْتَقَى الْبَدْرُ صَفْحَةَ النَّهْرِ
 وَضَمَّنَا فِيهِ زَوْقُ يَجْرِي
 وَدَاعِبَتْ نَسَمَةٌ مِنَ الْعَطْرِ
 عَلَى مُحْسِيَاكِ خُصْلَةَ الشَّعْرِ
 حَسَوْتُهُمَا قَبْلَهُ مِنَ الْجَمْرِ
 جُنُّ جُنُونِي لَهَا وَمَا أَدْرِي
 أَيُّ مَعَانِي الْفِتَوْنِ وَالسُّحْرِ
 تَغْرُكُ أَوْحَى بِهَا إِلَى تَغْرِى !
 حُلْمٌ مَسَاءٍ أَتَاحَهُ دَهْرِي
 غَرَّدَ فِيهِ الْحَبِيبُ فِي صَدْرِي



٢٢ - إعراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِبْتُ نَخْبَ كَثِيرَاتٍ وَأَتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأْسِي
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَنِ لِأَنِّي مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثُمَّ أَشْرَكْتُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءً وَيَأْسَ
وَتَبَذَلْتُ فِي غِرَامِي فَلَمْ أَحْبِسْ عَلَى لَذَّةِ شَيَاطِينِ رِجْسِي
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفَنِّ طَلِيقاً وَالطَّهْرِ يَمَلَأُ حِسِّي
تَائِهاً فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي ، لِمَ أَرْجَى الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أُرْسِي
لِي قَلْبٌ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بِيضَاءَ نَمَتْهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبَسٍ
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أَغْنَى وَعَلَيْهَا وَحْدِي أَغْنَى لِنَفْسِي
لِي إِلَيْهَا فِي خَلَوْتِي هَمْسَاتٌ أَنْطَقْتُهَا بِكُلِّ رَائِعٍ جَرَسٍ

* * *

كَمْ شَفَاهِ بِهَنْ مِنْ قُبُلَاتِي وَهَجُ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسٍ
وَوَسَادِ جَرَتْ بِهِ عِبْرَاتِي ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي
أَيُّهَذِي الْخُدُورُ أَنْوَارُكِ الْحَمْرَاءُ كَمْ أَشْعَلَتْ لِيَالِي أَنْسِي
أَحْرَقْتَهُنَّ ! آه ! لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ سِوَى ذَلِكَ الرُّمَادِ بِرَأْسِي !

❦ ❦ ❦

٢٣ - أندلسية

حسنك النشوان والكأسُ الرويَّةُ
جدُّا عهد شبابي فسكَّرتُ
حلمُ أيامٍ وليَّلاتٍ وضُيَّةُ
عبَّرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانُ وفي الكأسِ بقيَّةُ
أى خمرٍ من جنِّ الخلدِ عصرتُ؟
أه ، هاتى قـرَّي الكأسِ إليَّ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةُ

* * *

لا تقولى أى صوتٍ ملهمٍ
قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقينا
دمك المشبوبُ فيه من دمي
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ روحى ! قريبيها من فمي
إن شربنا أو طربنا ما علينا

آه هاتِيها من الحسنِ جَنِيَّةُ
واسقِيها أنتِ ، يا أندلسِيَّةُ

* * *

كَانَتْ النَظْرَةُ أُولَى نَظَرَتَيْنِ
ثُمَّ صَارَتْ لَفْظَةً مَا بَيْنَنَا
وَالهوى يَعْجَبُ مِنْ مَغْتَرَبَيْنِ
لَمْ يَقُلْ أَنْتِ ، وَلَا قَالَتْ أَنَا
وَسَبَحْنَا فَوْقَ وَادٍ مِنْ لُجَيْنِ
تَحْتَ أَفْقٍ مِنْ غَمَامٍ وَسَنَى
أَتَمَلَّأُهَا سِمَاتٍ عَرَبِيَّةِ
وَأُنَادِي أَنْتِ ، يَا أُنْدَلُسِيَّةِ

* * *

صَحَّتْ يَا لِلشَّمْسِ فِي ظِلِّ الْمَغِيبِ
تَلْتَمُّ الزُّهْرَ وَأَوْدَاقَ الشُّجَرِ
خَلَّتْهَا بَيْنَ مُحِبٍّ وَحَبِيبِ
قُبْلَةً عَنَدَ وَدَاعٍ وَ سَفَرِ
فَانْتَنَتْ تَنْظُرُ لِلوَادِي الْعَجِيبِ
صُورًا يَذْهَبْنَ فِي إِثْرِ صُورِ

وبسمعى همسةً منها شجيرة

وبروحي أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عند شط من نضار

وانتحنينا خلوة بعد زحام

قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :

ألكِ الليلةُ فى لحنٍ و جام؟

ما على مغتربى أهلٍ ودارٍ

إن أدارا ها هنا كأس مدام؟

أهـ هاتيها كخديك نقيّة

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

واحتوتنا بينَ لحنٍ مطربٍ

حانةٌ مثلُ أساطيرِ الزمانِ

صوّرتُ جدرانُها بالذهبِ

فتنَّ العشق وأهواءَ الحسانِ

قالتِ : اشربْ قُلْتُ لبيكِ اشربى

ملءِ كأسينِ فإننا ظامئانِ

خمرة رومية أو بابلية
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

هتفتُ بي ويداهما في يدي
تدفعُ الكأسَ باغراءٍ وعُجبٍ
أى قيثارٍ شجى غردٍ
خلتُ ينطقُ عن أسرار قلبي !
قلتُ طفلٌ من قديم الأبدِ
يمزجُ الألحانَ من خمرةٍ وحبٍ
ملء كأسٍ في يديه ذهبية
فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالروح
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبٍ
وخبا المصباحُ إلا كأسَ راحٍ
نوره ما بين إيماضٍ ووثبٍ
قد تحدى وهجته ضوء الصباح
فبقينا حوله جنباً لجنبٍ

نتساقها على الفجرِ نديةً
وأغنى أنت ، يا أندلسيةً

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيةً
بَعْدَتْ داركِ و الصيفُ دنا
أينَ أحلامُ الليالي القمريّةِ
والبحيراتُ مطيفاتُ بنا ؟
أذكرى بينَ الكؤوسِ الذهبيةِ
حانةً ، يا ليتها دامتُ لنا
حينَ أدعوكِ صباحاً وعشيةً
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةً

✍ ✍ ✍

٢٤ - فلسفة وخيال

نَهْزَةٌ أَهْدَتْ خَيَالَ إِينَا
 وَدَعَّتْنَا لِمَوْعِدٍ فَالتَّقِينَا
 ههنا تحتَ ظِلَّةِ الغَابَةِ الشَّجَرَا
 ٤ سِرُّنَا ، وَالفَجْرُ يَحْنُو عَلَيْنَا
 وَقَطَّفْنَا مِنْ زَهْرِهَا ، وَانْثَنَيْنَا
 فَجَنَيْنَا تُفَاحَهَا بِيَدِينَا
 وَمَرَّحْنَا بِهَا سَحَابَةً يَوْمَ
 وَبَأَشْجَارِهَا نَقَشْنَا اسْمِينَا

* * *

ههنا يَا ابْنَةَ الْبَحِيرَاتِ وَالْأَوْدِيَةِ الْخُضْرِ وَالرُّبَى وَالْجِبَالِ
 صَدَحَ الْحُبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَيْنَا نَدَاءَ الْهَوَى وَصَوْتَ الْخَيَالِ
 وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الْفَجْرِ مُوسِيقَى مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
 وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةٍ تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهُوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالْحَيَاءُ يَصْبِغُ خَدْيِكَ : أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أُمُّ دِمَاءُ ؟
 مَلَأْ عَيْنِيكَ ، يَا فَتَى الشَّرْقِ ، أَحْلَامُ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ

وعلى ثغرك المشوقِ ابتسامُ
ضُرْجَتُهُ الأشـُـواقُ والأهواءُ
أو حقاً دُنْيَاكَ زهرٌ وخمرٌ
وغـُـوانٌ فـُـواتنٌ وَ غناءٌ؟

* * *

قُلْتُ : يا فتنة الصِّبَا حَفَلْتَ دُنْيَاكَ بالحبِّ والمُنَى والأغاني
ما أثارتُ حرارةَ الجَسَدِ المشتاقِ إلا مرارةَ الحرمانِ
إنَّ أجسادنا معابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فتانٍ
أنا أهوى رُوحِيَّةَ العالمِ المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجدانِ

* * *

ما تكونُ الحياةُ لو أنكرَ الأحياءُ فيها طبائعَ الأشياءِ !
أنا أهواكِ كالفراشةِ صاغتِها زهورُ الثرى وكفُّ الضياءِ
أنا أهواكِ فِتْنَةً صاغَها المُنَالُ من طينةٍ ومن إغراءِ
أنا أهواكِ بدعةَ الخلدِ صِيغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حواءِ

* * *

أنا أهواكِ من أثمٍ وطهرٍ
حَلَمَ إغفائتي وصَحَّوْ غرامِي

أنا أهواك تُبدعينَ يقينى من نسيجِ الظنونِ والأوهامِ
أنا أهواك دِفءَ قلبى وينبوعَ اشتهائى ، وشِرتى ، وعُرامى
وحناناً مُجسّداً إن طوانى الليلُ وسدتُ صدره ألامى

* * *

يا للطريقِ الضيقِ الصَّاعدِ بين ربوتينِ
كأنما خُطٌّ على قَدَرِ خُطىٍ لعاشقينِ
الشُّجراتُ حوله كأنها أهدابُ عَيْنِ
كعهده بصاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجانبينِ
نبأه الصَّدَى المرنُ عن قُدمِ زائرينِ
فى فجرِ يومِ ماطرٍ شقَّ حجابَ ديمتينِ
كأنما ينزلُ منه الوحى حَبَّاتٍ لجينِ
فانتبهت خميلة تهزُّ عُشَّ طائرينِ
وشاعَ فى الغابةِ همسٌ من شفاهِ زهرتينِ
مَنِ الغريبانِ هنا ؟ وما سَراهما ، وأين ؟
ماذا قدومهما والغيثُ مدرارُ

لا صاحبُ الدَّارِ طلاعُ ولا الدَّارُ
هذى البحيرةُ وسننى ، حلُمُ ليلتها
لما تُفِقُ منه شطئانٌ وأغوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةُ
 مما يُصوِّرُهُ عُشْبٌ ونُورٌ
 والصبحُ في مهدِهِ الشرقيِّ ما رُفِعَتْ
 عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغيمِ أَسْتارُ
 حتَّى الجبالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
 ولا شدا لرُعاةِ الضأنِ مزمَارُ
 فمنُّهما القادمانِ؟ الريحُ صاغيةُ
 لوَقِعِ خطوهِما والأرضُ أبصارُ!
 أعادَ مَنْ زَمَنِ الأشباحِ سامرُهُ
 فالليلُ والغابُ أشباحُ وأسْمَارُ؟
 أم البحيرةُ جَنِيَّاتُها طلعتُ
 فهبَّ موجٌ يناديها وتَيَّارُ!
 أم راصداً كوكبٍ ضلَّ سبيلهما
 لما خَبَتْ من نجومِ الليلِ أنوارُ
 أم صاحباً سَفَرٍ مالَ الضنَى بهما
 حَوَّثَهُمَا جَنَّةُ للفنِّ مِعْطَارُ
 أم عاشقانِ تُرَى؟ أم زائرانِ هما؟
 وهل مَعَ الفجرِ عُشاقُ وزوَارُ؟!

وَأَمْسَكَ الْغَيْثُ كَمَا لَوْ كَانَ يُصْفَى مِثْلُنَا
وَأَعْتَنَتْ حَتَّى وَرِيقَاتِ الْغُصُونِ حَوْلَنَا
كَأَنَّمَا تَخْشَى النَّسِيمَ أَوْ تَخَافُ الْغُصْنَ
وَانْبَعَثَ اللَّحْنُ الشَّجِيُّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا
يُثَوِّرُ فِي إِيقَاعِهِ قَيْثَارَةً وَأَرْغَنًا
كَأَنُّ جِنًّا فِي السَّمَاءِ يُشْعَلُونَ الْفِتْنَا
كَأَنُّ أَرْيَابًا بِهَا يُحَاكِمُونَ الزُّمْنَا
يَا صَاحِبَ الْإِيقَاعِ مَا تَعْرِفُ مَا هَجَّتْ بِنَا
أَلْفَجْرُ؟ أَمْ ثَارَتْ عَلَى الشَّمْسِ بَوَارِقُ السُّنَى؟
مَا لَكَ قَدْ غَنِيَّتَهُ هَذَا النِّشِيدَ الْحَزْنََا
غَنِيَّتَهُ الْهَمُّ أَمْ أَنْتَ غَنَيْتَ لَنَا؟

مَا ذَلِكَ الصَّوْتُ شَاجِيَ اللَّحْنِ سَحَارُ

يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلَهَامِ زَخَارُ

فِيهِ تَنْفُسٌ فَوْقَ السُّحُبِ الْهَمُّ

وَأَدْمِيُونَ فَوْقَ الْأَرْضِ نُوَارُ

لَهُ مِزَاقٌ ، لَهُ لَوْنٌ ، لَهُ أَرْجُ

خَمَرٌ أَبَارِيقُهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ

أَشْتَفُهُ وَأُنَادِي كُلُّ نَاحِيَةٍ

مِنْ الْمُغْنَى وَرَاءَ الْغَابِ ، يَا دَارُ؟

أَلْسَمَفُونِيَّةٌ هَذِي ! أُمُّ صَدَى حُلْمٍ
 كَمَا تَجَاوِبُ خَلْفَ اللَّيْلِ أَطْيَارُ !
 أَعَادَ لِلْمِعْزَفِ الْمَهْجُورِ صَاحِبَهُ
 فَعَرَبِدْتُ فِي يَدَيْهِ مِنْهُ أَوْتَارُ !
 أَظَلُّ أَصْنَى وَمَا مِنْ شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
 وَلَا أَزَاحَ رِتَاجَ الْبَابِ دِيَارُ
 حَتَّى الْحَدِيقَةُ لَفَّتْ كَوْخَ حَارِسِهَا
 بِصِمَتِهَا ، فَهَمَّا نَبَتْ وَأَحْجَارُ
 تَوَاضَعَتْ بِجَلَالِ الْفَنِّ مَا ارْتَفَعَتْ
 مِثْلَ الْبُرُوجِ لَهَا فِي الْجَوِّ أَسْوَارُ
 تُصَفِّي إِلَى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةَ
 كَأَنَّمَا هَمَسَاتُ الرِّيحِ أَخْبَارُ !
 هَنِيهَةً ، ثُمَّ سَمِعْنَا هَاتِفًا مَرْدَّدًا
 يَقُولُ : قُمْ « يَا سِجْفَرِيدُ » ، فَالْصَّبَّاحُ قَدْ بَدَأَ
 عَرَائِسُ الْوَادِي أَلَمْ تَضْرِبْ لَهْنَ مَوْعِدًا ؟
 مَاذَا ! قُمْ انْفُضِ الْكَرَى ، وَنَمْ كَمَا شِئْتَ غَدًا
 وَاخْطُرْ عَلَى الْغَابَةِ مَنْضُورَ الصَّبَا مُخْلِدًا
 خُذْ سَيْفَكَ السَّحَرَى صَيِّغْ جَوْهَرًا وَعَسْجِدًا

قَدْ لَقِيَ التَّنِينُ مِنْهُ فِي الْعَشِيَّةِ الرَّدَى
 صَوْتُ مَعَ الرِّيحِ سَرَى .. ، وَلِلْسَكُونِ أَخْلَدَا
 فَأَمْسَكَتُ صَاحِبَتِي يَدِي وَحَاطْتُ بِي يَدَا
 تَقُولُ : لَمْ أَسْمَعْ كَهَذَا اللَّحْنِ أَوْ هَذَا الصُّدَى
 قُلْتُ : وَلَا بِمِثْلِهِ شَادَ عَلَى الدَّهْرِ شَدَا
 قَدْ بَاخَ بِالنَّعَمِ الْمَوْعُودِ قَيْثَارُ
 فَالْفَجْرُ أَحْلَامُ عُشَّاقٍ وَأَسْرَارُ
 صَحَا يُفَصِّلُ رُؤْيَاهُ وَيَعْبُرُهَا
 مَوْجٌ عَلَى الشَّاطِئِ الصَّخْرَى ثَرثارُ
 وَزَحْزَحَتْ وَرَقَ الصَّفْصَافِ حَانِيَةٌ
 عَلَى الْبُحَيْرَةِ أَعْشَابُ وَأَزْهَارُ
 تُسَائِلُ الْمَاءَ : هَلْ غَنَّتْهُ أَوْ عَبَرَتْ
 شُهْبٌ بِهِ مَسْتَحْمَاتٌ وَأَقْمَارُ ؟
 يَا صَاحِبَ اللَّحْنِ إِنَّ الْغَابَ مُصْغِيَةٌ
 فَأَيْنَ مِنْ « سِجْفَرِيدَ » السِّيفُ وَالْفَارُ ؟
 مَا زَالَ فَوْقَ نَدَى الْعَشْبِ مُضْجَعُهُ
 وَمِنْ يَدَيْهِ عَلَى الْأَغْصَانِ آثَارُ
 هَذَا النِّشِيدُ ، نَشِيدُ الْحُبِّ ، تَعْرِفُهُ
 لَهُ عَرَائِسُ ، مِثْلُ الْوَرْدِ ، أَبْكَارُ

بَعَثْنَهُنَّ مِنَ الْأَنْغَامِ أَجْنَحَةً
هَزِيْزَهُنَّ مَعَ الْأَفْـلَـكِ دَوَّارُ
فِي صَدْرِ قِيْثَارَةٍ أَوْدَعَتْهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُقْضَى بِمَا شِئْتَ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لَيَالٍ ، وَأَيَّامٌ ، وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَأَلْهَةٍ
تَمَازَجَتْ فَهِيَ الْحَانُ وَأَشْعَارُ !



٢٥ - الله والشاعر

- لا تفزعني ، يا أرض ، لا تفرقي
من شبع تحت الدجى عابري
ما هو إلا أدمي شوقي
سموه بين الناس بالشاعر
- حنانك الآن ، فلا تنكري
سبيله في ليلك العابس
ولا تضلي به ، ولا تنفري
من ذلك المستصرخ البائس
- مدي لعينه الرحاب الفساح
ورقي الأضواء في جفنه
وأمسكي ، يا أرض ، عصف الرياح
والرأع د المنصب في أذنه
- أنت له ، يا أرض ، أم روم
فأشهدي الكون على شقوته
ورددي شكواه بين النجوم
فهو ابنك الإنسان في حيرته

● ما هو إلا صوتك المرسل
وروحك المسبب المرهق
قد آده الدهر بما يحمل
فجاء عن الأمل ينطق؟

● طغى الأسى الداوي على صوته
يا للصدى من قلبه الناطق
مضى يبت الدهر في خفته
شكاية الخلق إلى الخالق

● حنانك اللهم ، لا تغضب
أنت الجميل الصفح ، جم الحنان
ما كنت في شكواي بالذنب
ومنك ، يارب ، أخذت الأمان

● ما أنا بالزاري ولا الحاقد
لكنني الشاكي شقاء البشر
أفنيت عمري في الأسى الخالد
فجئت أستوحيك لطف القدر

● تمردت روعي على هيكلي
وهيكل الجسم كما تعلم

ذاك الضعيفُ الراي لم يفعلِ
إلا بما يوحى إليهِ الدمُ !

● يَعرِّقُ حدُّ السَّيفِ من لحمه
ويحطمُ الصَّفْوانُ بنيانَهُ
وينخرُ الجرثومُ في عظمه
ومنه يُنمي القبرُ بريدانهُ !

● ما هو إلا كومةٌ من هباءٍ
تمحقهُ اللمسةُ من غضبتك
فكيف يثني الروحَ عما تشاءُ ؟
وكيف يقوي ؟ وهى من قدرتك ؟

● يا للشقيِّ القلبِ كمُ سامَهُ
توهمُ النعممةِ ما لا يطيقُ
يريدُ أن يُقننَ أوهامَهُ
بأنتهُ ذاكَ الخالي الطليقُ

● هأنذا أرفعُ ألامَهُ
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنفِسامَهُ
قيثارةُ القلبِ ، ونايُ الفمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالُ
ومن لهــــــــيبِ الروحِ هذا القلمُ
مَلأتُ منه صَفحاتِ الليالِ
فَضُمْتُ كُلَّ مــــــــــــــــعــــــــباني الألمِ

● أنا الذي قَدُسْتُ أَحزانُهُ
الشَّاعِرُ الباكِ شِقَاءَ البَشَرِ
فَجَرَّتْ بِالرَّحْمَةِ الْحِائِةُ
فَامْلأ بِهَا ، ياربُّ ، قَلْبَ الْقَدَرِ !

● ما الشَّاعِرُ الْفَنَّانُ فِي كَوْنِهِ
إِلَّا يَدُ الرَّحْمَةِ مِنْ رِيهِ
مُعْزِي الْعَالَمِ فِي حَزْنِهِ
وَحَامِلُ الْأَلَمِ عَنْ قَلْبِهِ

● عَزَاؤُهُ شَعْرٌ بِهِ أَهْزَجُ
فِي نَغَمٍ مَسْتَعَذِبٍ سَاحِرِ
مَا يَحْزَنُ الْعَالَمُ أَوْ يُبْهِجُ
إِلَّا عَلَى قِيْثَارَةِ الشَّاعِرِ

● ياربُّ ، ما أَشْقَيْتَنِي فِي الْوُجُودِ
إِلَّا بِقَلْبِي : لَيْسَتْ لَهُ لَمْ يَكُنْ

ففي المثل الأعلى وحُبّ الخلود
حملته العبد الذي لم يهن

● خلقت قلباً رقيق الشغاف
يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بعالم الحسن ودنيا الخيال

● بعته طيراً خفوق الجناح
على جنان ذات ظل وماء
أطلقتها فيها قبيل الصباح
وقلت : غن الأرض لحن السماء

● فهم في أفاقها الواسعة
النوريه فو حوله والندى
مصفاً للضحوة الساطعة
ومنشداً ما شاء أن ينشدا

● إن جاء صيف أو تجلى ربيع
حياء منه عبقري الغناء
وكم خريف في نشيد بديع
تظل ترويه ليالي الشتاء

- قيثارةٌ تصدرُ في فنُّها
عن عالم السُّحرِ ودنيا الخفاءِ
على الصُّدى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءُ
- مَشَتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيَّدُ النشْوةِ المسكرةِ
كأنَّما ترقُّصُ أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقَمَّرةٍ !
- من قلبه أسلمت أوتارها
فقلبه يخفقُ في كفِّه
يشدو فتُملي النفسُ أسرارها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفه
- ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمهلُ
والأرضُ سكرى من عبيرِ الزهورِ
على حـمصـاها رنَّ الجدولُ
وفي روابيها تُغني الطيورُ
- ما كان يدرى قبلَ أن ينظراً
ما خبأته النظرةُ العاجلةُ

مما أبدعَ الحلمَ الذي صوِّراً
لو لم تشبه اليقظة القتالة !

● مرُّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلُ
تهفو القمارى^(١) حوله شادية
في ضفتيه باسقات النخيل
ترعى الشياه تحثها ثاغية

● فهاجتِ النظرةُ مما رأى
في قلبه السحرَ وفي عينه
الكونُ يبدو وادعاً هائلاً
كأنه الفردوسُ في أمانه

● فظلُّ في التفكيرِ مستغرقاً
من فتنة الدنيا ومن سحرها
ما كان إلا ريثماً حديقاً
حتى جلت دنياه عن سرها

● رأى بعينه الذي لم يره
الذئبُ ، والشاةُ ، وحربَ البقاءِ

(١) القُمرى : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مَا عَرَفَ الْقَتْلَ وَلَا أَبْصَرَهُ
وَلَا رَأَى مِنْ قَبْلُ لَوْنَ الدَّمَِاءِ !

● مَا هِيَ إِلَّا صَرَخَاتُ الْفَزَعِ
وَصِيحَةُ الْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ
قَدْ انْقَضَى الْأَمْرُ كَأَنْ لَمْ يَقَعْ
وَضَاعَ صَوْتُ الْحَقِّ فِي الْبَاطِلِ

● وَبَعْدَ سَاعَاتٍ يُؤَلِّي النَّهَارُ
وَيَقْبِلُ اللَّيْلُ ، وَمَا يَعْلَمُ !!
سَيَلِبُثُ السَّرُّ وَرَاءَ السِّتَارِ
وَيَخْتَفِي الشُّلُوءُ وَيُمَحِي الدَّمُ !!

● يَا أَرْضُ ، وَلِيْ عَهْدُ نُوحٍ وَذَا
فَمَنْ لَكَ الْيَوْمَ بِطُوفَانِهِ ؟
مَسْكِينُهُ تَطْوِينُ بَحْرَ اللَّيَالِ
قَدْ عَزَّكَ الْمَرْسَى بِشَطْئَانِهِ !

● إِلَامَ تَطْوِينِ عُبَابِ السَّنِينِ
شَوْقاً إِلَى فَرْدُوسِكَ الْضَائِعِ ؟
غُرَّتِ ، يَا أَرْضُ بِمَا تَحْلُمِينَ
فَاسْتَيْقِظِي مِنْ حُلْمِكَ الْخَادِعِ !!

● وابقى كما أنتِ على موجهِ
تُمزِقُ الأنواءُ منكِ الشُّـرَاعُ
يَقْـذِفُكَ التَّـيَّارُ فِي لَجْهِ
عِشْوَاءَ لَا يَهْدِيكَ فِيهِ شُعَاعُ

● سَلِي الْقِدَاسَاتِ وَأَرْبَابَهَا
ضِرَاعَةٌ تَصْغَى إِلَيْهَا السَّمَاءُ
أَوْفَاطُ رَقِي بِالْبَيْتِ أَبْوَابَهَا
لَعْلَهَا تَرْفَعُ عَنْكَ الشَّقَاءُ !

● يَا أَيُّهَا الْغَادُونَ وَالرَّائِحُونَ
فِي شُعَبِ الْأَرْضِ وَلَيْلِ الْهَمَمِ
تُمْسُونَ أَشْتَاتاً كَمَا تَصْبِحُونَ
وَالشَّمْسُ حَيْرِي فَوْقَكُمْ وَالنَّجُومُ !

● فَايْتَهَلِي لِلَّهِ ، وَاسْتَغْفِرِي
وَكُـفِّرِي عَنْكَ بِنَارِ الْأَلَمِ
وَقَدِّمِي التَّوْبَةَ ، وَاسْتَمْطِرِي
بِـيَدَيْهِ عِبْرَاتِ الْـنَّدَمِ !!



المحتويات

القصيدة	صفحة
١ - فلسطين	١١
٢ - مصر	١٣
٣ - الجندول	١٥
٤ - ليالى كليوبترة	١٩
٥ - العام الهجرى الجديد	٢٣
٦ - البحيرة	٢٧
٧ - قبر شاعر	٣٦
٨ - شاعر مصر	٤٢
٩ - شوقى	٤٨
١٠ - سورية وعيد الجلاء	٥٣
١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى	٥٥
١٢ - الأمسية الحزينة	٦١
١٣ - الطبيعة المصرية	٦٦
١٤ - على النيل	٦٧
١٥ - القبرة	٧٠
١٦ - الملاح التائه	٨٠
	١٢٧

القصيدة	صفحة
١٧ - راكبة الدراجة	٨٤
١٨ - على حاجز السفينة	٨٦
١٩ - انتظار	٩٦
٢٠ - البحر والقمر	٩٩
٢١ - حلم ليلة	١٠٣
٢٢ - اعتراف	١٠٤
٢٣ - أندلسية	١٠٥
٢٤ - فلسفة وخيال	١١٠
٢٥ - الله والشاعر	١١٨

رقم الإيداع ٩٦ / ٥٧٤٩

I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزي جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

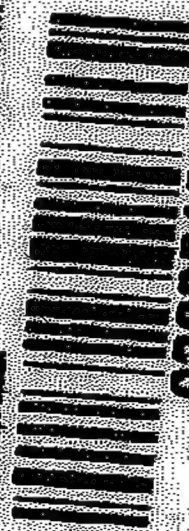


مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

16

Bibliotheca Alexandrina



0268513